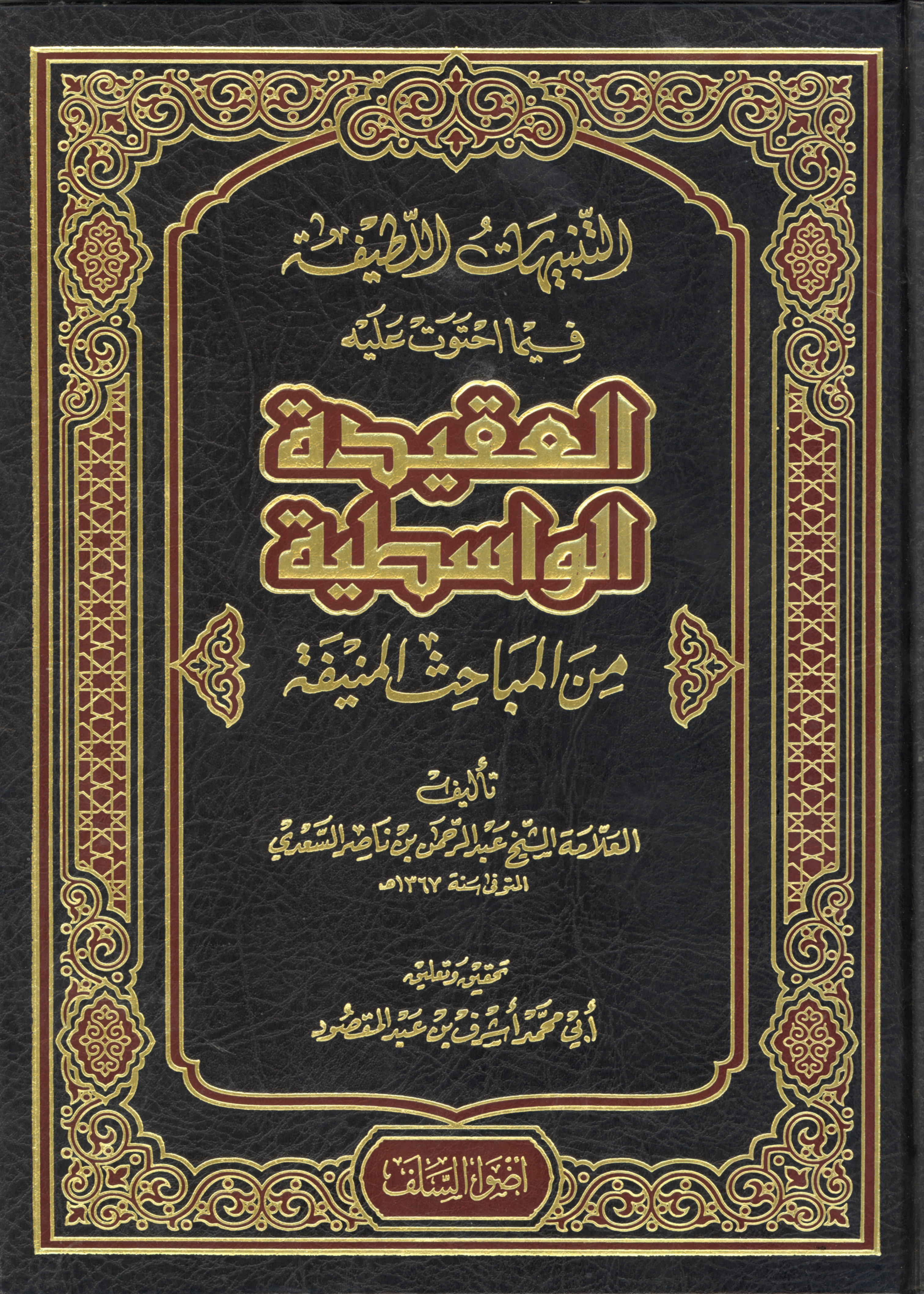


التنبيهات اللطيفة
فيما احتوت عليه
العقيدة الواسطية
من المباحث المنيفة
تأليف
العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
المتوفى سنة ١٣٦٧هـ
تحقيق وتعليق
أبي محمد أشرف بن عبد المقصود
أضواء السلف

التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه

« العقـــيدة الواســطية »

من المباحث المنيفة

بسم الله الرحمن الرحيم



التنبيهات اللطيفة

فيما احتوت عليه

العقيدة الواسطية

من المباحث المنيفة

تأليف

العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السَّعدي المتوفى سنة ١٣٦٧ هـ

تحقيق وتعليق

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

مكتبة أضواء السلف

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

مكتبة أضواء السلف ـ لصاحبها علي الحربي

الرياض ـ شارع سعد بن أبي وقاص ـ بجوار بنده ـ ص ب ١٢١٨٩٢ ـ الرمز ١١٧١١
ت ٢٣٢١٠٤٥ ـ محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا:
المملكة العربية السعودية : مؤسسة الجريسي ت
مصر: مكتبة الإمام البخاري بالإسماعيلية ـ ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤
باقي الدول : دار ابن حزم ـ بيروت ـ ت ٧٠١٩٧٤

مقدمة المعتني

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ باللَّه من شُرور أَنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له وأشهد أنْ لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فهذه طبعةٌ جديدةٌ لهذا الشَّرح المختصر النافع الذي يُعدُّ أول شرح لـ « العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية »[1] .

هذه العقيدة الغراء التي جَمعت من أُصُول الإيمان مَا يَكفِي ويَشْفِي ويغني عن كلام أهل الكلام ، ومعقول أَهل المَعقُولِ. وكما يقول الشارح رحمه اللَّه : « جَمَعَت على اختصارها وَوُضُوحها ، جميع ما يجب اعتقاده من أُصول الإيمان وعقائده الصَّحِيحة » .

والناظر في هذه الدُّرَة السَّعْدية يرى فيها الحرص الشديد على إيضاح مسائلها بطريقة سهلة مُيَسَّرَة بعيدة عن التعقيد والحشو ، فهي بحق من أحسن ما كتب في توضيح الواسطية .

هذا وقد طُبِع هذا الشرح قديمًا ، وقام على نشره وأشرف على طبعه الأستاذان : عبد الرحمن بن رويشد ، وسليمان بن حماد . إلا أن هذه الطبعة تعد مثال سيء للنشر ؛ لما فيها من كثرة السقطِ شديد ، والتحريفات الواضحة في كل صفحاتها ! بحيث نستطيع القول بأنها لا تَصْلُح للقراءة !!

ثم أعيد طبعها على نفس الطبعة السابقة وذلك بدار ابن القيم بالدمام بتحقيق

---

(١) راجع : دراستنا لمتن العقيدة الواسطية في طبعتنا الجديدة لها . ط . مكتبة أضواء السلف

الأستاذ علي حسن عبد الحميد ، فجاءت كسابقتها إلا بعض التصويبات اليسيرة جدًّا ، ولولا خوف الإطالة وشَغْل القارئ بما لا يفيد لقمت بعمل جدول للسقط والتحريفات والأخطاء في الطبعتين يبلغ عدة صفحات !!

من هنا كانت الحاجة ماسّة للحصول على نسخة خطية للكتاب ، فكان من توفيق المولى جلَّ وعلا أن حصلت على نسخة بخط المصنف محفوظة تقع في خمسين صفحة ففرحت كثيرًا .

فاستعنت بالله في طبع الكتاب بحلَّةٍ جديدة والاستفادة من طبعتنا لمتن العقيدة الواسطية والتي تعتبر في رأينا أصح طبعة صدرت للمتن ، والتي اعتمدنا فيها على النسخ الخطية مع ترقيم المتن وضبطه .

فقمت بوضع المتن مع هذا الشرح مع التنسيق عن طريق الأرقام تسهيلاً لقارئ الكتاب ، كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار ، والتعليق على الكتا ببعض الفوائد ، وعمل الفهارس اللازمة ، وغير ذلك .

هذا وقد اجتهدت في ذلك حَسَب الطَّاقة ، واللَّه تعالىٰ يَغْفِر لِي زَلَلي وتَقْصِيري ، كما أسأله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم ، إنه سميع مُجيب ، وآخر دعوانا الحمد للَّه رب العالمين .

الإسماعيلية في ١ صفر ١٤٢٠هـ **أبو محمد أشرف بن عبد المقصود**

غفر الله له ولوالديه

التنبيهات اللطيفة فيما
احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة
لجامعها عبد الرحمن بن ناصر
بن سعدي غفر الله له

هدية علي الحمد الصالحي الى المكتبة السعودية
في ١٥/٦/١٣٧٢



صورة غلاف مخطوطة « التنبيهات اللطيفة » للشيخ عبد الرحمن السعدي وبخطه

صورة الورقة الأولى لمخطوطة « التنبيهات اللطيفة » للشيخ عبد الرحمن السعدي

٥٠

ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وقوله صلى الله عليه وسلم
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له الجسد
بالحمى والسهر ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضى بمر القضاء ويدعون إلى
مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا
أحسنهم خلقا ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين
وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق
بحق أو بغير حق ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها وكلما يقولونه ويفعلونه
من هذا أو غيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به
محمدا صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة
كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وفي لفظ أنه قال هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم
وأصحابي صار المتمسكون ~~بالكتاب والسنة~~ بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم
أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى
أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الأبدال وفيهم أئمة الدين الذين أجمع
المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة فنسأل الله أن يجعلنا
منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب تمت
وهذا كلام جامع واضح نادر جمعه في موضع واحد لا يحتاج إلى شرح وإيضاح
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وسلم قال ذلك وكتبه معلقه عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وكان الفراغ منه في ٨ جمادى الأولى ١٣٦٩
والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة

صورة الورقة الأخيرة لمخطوطة « التنبيهات اللطيفة » للشيخ عبد الرحمن السعدي

التنبيهات اللطيفة

فِيمَا احْتَوت عَلَيه

العقيدة الواسطية

مِن المَبَاحِث المُنِيفَة

تأليف

العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السَّعدي المتوفى سنة ١٣٦٧ هـ

تحقيق وتعليق

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

مكتبة أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشَّارح

الحمدُ للَّه الـمَوْصُوف بِصِفَات العَظَمَة والكبرياء والكَمَال ، المُنَزَّه عن الشَّريك والنَّقْص والشَّبَه والـمِثَال . وأشهد أنه الـمُتَفَرِّد بالوحدانية، الـمُسْتَحِق لإفْرَادِه بالعبودية في كل الأحوال . وصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سيِّدنا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آله وصحبه، ومن تَبِعَهُم في العقائد والأَخْلاق والأَقْوَال والأَفْعَال .

أما بعد: فهذا تعليقٌ لَطِيفٌ على عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة بـ «الواسطية» التي جَمَعَت على اختصارها وَوُضُوحها جميع مَا يَجِبُ اعتقاده من أُصول الإيمان وعَقَائِدِه الصَّحِيحة .

وهي وإن كانت واضحة المعاني مُحْكَمَة المباني ؛ تحتاج إلى :

* تعليق يزيد في توضيح بعض ما فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتبين وَجْه دلالتها على المقصود .

* وبيان وَجْه ارتباط بعض المسائل ببعض ، وجمع ما يحتاج إلى جَمْعه في مَوْضِعٍ واحد .

* والإشارة إلى بعض آثارها وفوائدها في القُلُوب والأخلاق .

* والتَّنْبِيه لكل ما يحتاج إلى تنبيه عليه .

وأرجو اللَّه أن يكون هذا التَّعليق عَلَىٰ هذا الوَصْف ، وأن يكون خالصًا لوجهه الكريم ، مُقَرِّبًا إليه نافعًا ، سَهْلًا في ألفاظه ومَعَانِيه . آميــــن

* * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المصنف]

الحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ ٱلدِّين كُلِّهِ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِله إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ إِقرارًا به وَتَوْحِيدًا .

---

* **قال المصنف رحمه اللَّه وقدس روحه في عليين : (الحَمْدُ للَّهِ)**

أي : جميع أوصاف الكمال ثابتة للَّه على أكمل الوجوه وأتمها .

ومما يُحْمد عليه نِعَمهُ على العباد التي لا يُحصي أَحَد من الخلق تِعْدَادها .

وأعظمُها : إِرْسَالِه مُحمدًا ﷺ رحمة للعالمين .

(**بالهدى**) الذي هو العلم النافع (**ودين الحق**) ـ الذي هو العمل الصَّالح .

(**ليظهره**) على جميع الأديان بالحجة والبرهان وبالعِزِّ والسلطان .

(**وكفى باللَّه شهيدًا**) على صدق رسوله وحقيقة ما جاء به .

وشهادتُه تعالى بقوله وفعلُه وتأييدهُ لرسوله بالنَّصر والمعجزات والبَرَاهين المتنوعة الدال كل واحد منها ـ فكيف بجميعها ـ على رسالته وصِدْقه ، وأن جميع ما جاء به هو الحق من عقائد وأخلاق وآداب وأعمال وغيرها / . / 3 /

* **(وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِله إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ إِقرارًا به وَتَوْحِيدًا)**

أي : أُقِرُّ وأعترف مصدقًا ومنقادًا أنه لا يَسْتَحق الألوهية ـ وهي التَّفَرُّد بِكُلِّ كمال ـ إِلَّا اللَّه ، وأَنَّه لا يستحق العبادة إِلَّا هو وحده لا شريك له . =

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه ، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلّم تَسْلِيمًا مَزِيدًا .

* * * *

= ولهذا قال : (**إقرارًا به**) أي : بالقَلب واللِّسان .

(**وتَوحيدًا**) أي : إخلاصًا للَّه في كُلِّ عبادة قولية أو عَمَلِية أو اعتقادية .

وأعظم ما يُوَحَّد به وُيَتَقَّرب إليه به : « تَحقيق العقيدة السلفية » المحتوي عليها هذا الكتاب ، وبتحقيق العقيدة تَصْلُح الأعمال ، وتُقْبَل وتَسْتقيم الأمور .

* (**وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه . صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلّم تَسْلِيمًا مَزِيدًا**)

الشَّهادة للرَّسول بالرِّسالة .

والعبودية مَقْرُونة بالشهادة للَّه بالتوحيد لا يكفي إحداهما عن الأخرى ؛ ولابد فيها من اعتراف العبد بكمال عبودية النبي ﷺ لربه وكمال رسالته المتضمنة لكماله ﷺ ، وأنه فَاقَ جميع البَشَر في كل خَصلة كمال .

ولا تتم الشهادة حتى يُصدِّقه العبد في كل ما أخْبَر ، ويُطِيعه في كل مَا أمَر وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَىٰ عنه .

وبهذه الأُمور تتحقق الشَّهادة للَّه بالتوحيد ، وللرسول بالرِّسالة .

المسألة الواسطية في العقيدة

اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورةِ إلى قِيامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ

أصول الإيمان وأركانه الست

١ـ **الإيمانُ بِـ** : اللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ والإيمانُ بالقَدَرِ ؛ خَيْرِه وَشَرِّهِ .

* * * *

١ـ يقول المُصَنِّف رحمه اللَّه : إنَّ ما احتوت عليه هذه الرِّسالة هو العقيدة المُنجية من الهلاك والشُّرور ، المُحَصِّلة لخير الدنيا والآخرة ، المَوْرُوثة عن محمد ﷺ ، المأْخُوذة عن كتاب اللَّه وسُنَّةِ رسوله ، وهي التي عليها الصَّحَابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة ، الذين ضمن اللَّه لهم على لسان رسوله النَّصر إلى قيام السَّاعة ، والنَّصر إنَّما حَصَل لهم ببركة هذه العقيدة والعمل بها وتحقيقها بالقيام بجميع أُمور الدِّين .

وأَصْلها الذي تُبْنَى عليه هو : الإيمان بهذه الأُصول السِّتة التي صرَّح بها الكتاب والسُّنَّة في مواضع كثيرة ، جُمْلةً وتفصيلًا ، وتأصيلًا وتفريعًا .

وهي المذكورة في حديث جبريل المشهور حين سأل جبريل النبي ﷺ : « ما الإيمان ؟ »[١] فأجابه بها .

فهذه الرِّسالة من أوَّلِهَا إلى آخِرِهَا تَفصيلٌ لهذه الأُصول السِّتَّة[٢] / . /4/

* * * * *

(١) رواه مسلم في « صحيحه » من حديث ابن عمر (٨) (١) .

(٢) وعلى هذه الأصول السِّت كان تقسيمنا متن العقيدة لأبواب وفصول .

[الباب الأول

الإيمان بالله تعالى

ء ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : القواعد الأساسية في الإيمان بصفات الله

الفصل الثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه

الفصل الثالث : الإيمان بما وصف به الرسول ﷺ ربه

الفصل الرابع : وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة

الفصل الخامس : يدخل في الإيمان بالله : أنَّه سُبحانَهُ فوقَ سماواتِه ، عَالٍ على عرشِهِ

الفصل السادس : يدخل في الإيمان بالله : أنَّه قريب من خلقه]

* * * *

[الفصل الأول

القواعد الأساسية في الإيمان بأسماء الله وصفاته]

٢ــ وَمِنَ الإيمانِ بِاللَّهِ :

ــ الإيمانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفسه فِي كِتَابه .

ــ وَبِما وَصَفَهُ بِهِ رَسُولهُ مُحَمَّد لله .

مِن غَيْرِ : تَحْريفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ ، وَمِن غَيْرِ : تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثيلٍ .

فصل

في الأَصْل الأَوَّل : وهو أَصْل الأُصول كلها وأعظمها وأهمها وعليه تَنْبَنِي جميع الأُصول والعقائد وهو : الإيمان باللَّه

ذكر المُصَنِّف رحمه اللَّه هذا الأصل والضَّابط العظيم في الإيمان باللَّه إجمالا قبل أن يشرع في التَّفصيل ليبني العبد على هذا الأصل جميع ما يَرِد عليه من الكتاب والسُّنَّة ؛ ليستقيم له إيمانه ، ويَسْلَمُ من الانحراف .

٢ـ فَذَكَر : أنَّهُ يجب ويتعَيَّنُ الإيمان بكل ما أخبر اللَّه به في كتابه وأخبر به الرسول ﷺ عن ربه إِيمانًا صَحِيحًا سَالمًا من التَّحريف والتعطيل ، وسالمًا من التكييف والتمثيل ، بل يُثْبِت ما أثبته اللَّه ورسوله ، ولا يزيد على ذلك ولا يُنْقِص ، فإِن الكلام على ذات الباري وصفاته بابهُ واحدٌ ؛ فكما أن للَّه ذاتًا لا تشبه الذوات ، فله تعالى صفات لا تشبهها الصِّفَات . =

. . . .

= فمن مال إلى نفي الصِّفات أو بعضها فهو نَافٍ مُعَطِّلٌ مُحرِّف ، ومن كيَّفَهَا أو مَثَّلَهَا بصفات الخلق فهو مُمَثِّلٌ مُشَبِّه .

الابتعاد عن التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل

والفرق بين « التَّحريف » و « التَّعطيل » :

ـ أن « **التعطيل** » نَفي للمعنىٰ الحق الذي دَلَّ عليه الكتاب والسنة .

ـ و « **التَّحريف** » : تَفْسير للنُّصوص بالمعاني البَاطِلة التي لا تَدُلُّ عليها بوجه من الوجوه .

فـ « التَّحريف » و « التَّعطيل » قد يكونان مُتَلازمين ، إذا أُثْبِتَ المعنىٰ الباطل ونُفِيَ المعنىٰ الحق / . وقد يوجد « التَّعطيل » بلا تحريف كحال النَّافين للصِّفات الذين ينفون الصِّفات الواردة في الكتاب والسنة ، ويقولون : ظاهرها غير مُرَاد ! ولكنهم لا يعينون معنىً آخر ، ويُسَمُّون أنفسهم « مُفَوِّضة » ويظنون أن هذا مذهب « السَّلف » وهو غَلَطٌ فَاحِش !!

/ 5 /

فإن السَّلف يُثْبِتُون الصِّفات ، وإِنَّما يُفَوِّضُون علم كيفيتها إلى اللَّه ، فيقولون : الوصف المذكور مَعْلُوم ، والكيف مَجْهول ، والإيمان به واجب وإثباته واجب والسُّؤَالُ عن كيفيته بِدْعة ، كما قال الإمام مالك وغيره في الاستواء وغيره [(١)] . =

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ** : سيأتي ذكره ص (٥٢)أخرجه الذَّهبي في العلو ص (١٤١ ، ١٤٢) وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٣٢٥ ، ٣٢٦) وعثمان بن سعيد الدَّارمي في الرد علىٰ الجهمية ص (٥٥) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة » (٦٦٤) وأبو عثمان الصابوني في « عقيدة السلف » (٢٤ ـ ٢٦) والبيهقي في « الأسماء والصفات ص » (٤٠٨) من طرق يقوي بعضها بعضًا وصححه الذهبي . وجوَّد إسناده الحافظ في « الفتح » (١٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) .

. . . .

= **وأما قوله : (من غير تكييف ولا تمثيل) ، فالفرق بينهما :**

أن « **التَّكييف** » : أن تُكَيَّـف صفات اللَّه وأن يُبْحَث عن كُنْهِها .

و « **التَّـمثيل** » : أن يقال فيها أنه مثل صفات المخلوقين .

* فقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ـ نفي الكُفو والنِّد والسَّمِي ـ يَنْفي ذلك « التكييفَ » و « التمثيلَ » .

* وقوله : ﴿ وهو ٱلسَّمِيعُ البَصِير ﴾ ونحوها ـ من إثبات أسماء اللَّه وصفاته ـ تَنْفِي « التَّعطيل » و « التحريف » .

فـ « **المؤمن المُوَحِّد** » يُثْبت الصِّفات كلها على الوجه اللائق بِعَظَمَةِ اللَّه وكبريائه.

و « **المُعَطِّل** » ينفيها أو ينفي بعضها .

و « **المُشبِّه المُمَثِّل** » يُثْبِتُها على وَجْهٍ يَلِيقُ بالمخلوق .

ونُصُوص الكتاب والسُّنَّة التي يتعذَّر إحْصَاؤها كلها تشترك في دلالتها على هذا الأصل ، وهو : إثبات الصفات على وجه الكمال الذي لا يشبهه كمال أحد ، وهي في غاية الوضوح والبيان وأعلىٰ مراتب الصِّدق .

فإن الكلام إنما يقصر بيانُه ودلالتُه لأمورٍ ثلاثة :

١ـ إما جهل المُتَكَلِّم وعدم عِلمُه وقُصُوره .

٢ـ وإما عدم فَصَاحَتُه وبيانه .

٣ـ وإما كذبه وغِشه . =

٣ـ بَلْ يُؤْمِنونَ بِـ : أنَّ اللَّهَ تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

٤ـ فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ : مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ .

٥ـ وَلَا يُحَرِّفُونَ : الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .

= أما نصوص الكتاب والسنة فإنَّها بريئة من هذه الأُمور الثلاثة من كل وجه .

فكلام اللَّه ورسوله في غاية الوضوح والبيان وفي غاية الصِّدق .

كما قال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] .

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] .

ونظيرها : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] .

والرسول ﷺ في غاية النُّصح والشَّفقة العظيمة على الخَلْق .

فمن كان أَعْلَم الخَلْق ، وأَصْدق الخلق ، وأفصح الخلق ، وأنصح الخَلْقِ للخَلْق هل يُمكن أن يكون في كلامه شيء من النَّقص أو القُصُور ؟ أم تقول ـ والحق تقول ـ إن كلامه هو النّهاية التي لا فوقها في الوُضُوح والبيان للحقائق كلها .

وهذا برهانٌ عَلَىٰ أن كلام اللَّه وكلام رسوله يُوصِّل إلى أعلىٰ درجات العلم واليقين ، واللَّه يقولُ الحق وهو يهدي السَّبيل .

/ 6 / فالحق النَّافع / هو ما اشتمل عليه كلام اللَّه وكلام رسوله في جميع الأبواب لاسيما في هذا الباب الذي هو أصل الأصول كلها . =

الإلحاد في أسماء الله وآياته

٦ـ وَلَا يُلْحِدُونَ فِي : أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَآيَاتِهِ[(١)] .

= وهذا معنىٰ قول المُصَنِّف في إيراده للآية الكريمة : (﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾ **فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفونَ للرُّسُلِ ، وَسَلَّمَ على المُرْسَلينَ لِسَلامَةِ ما قالوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ**) .

أي قال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ ؛ لدلالة الحمد على الكمال المُطْلَق من جميع الوُجُوه .

٣ : ٥ ـ هذا الذي ذكر المُصَنِّف ضابطٌ نَافِع في كيفية الإيمان باللَّه وبأسمائه

(١) الإلحاد في أسماء اللَّه تَعَالَىٰ هو الميل بها عما يجب فيها :

وهو أنواع :

الأول : أن يُنكِر شيئًا منها أو مِمّا دلَّت عليه الصفات والأَحكام :

كما فعل « أهل التَّعطيل » من « الجهمية » وغيرهم .

وإنَّما كان ذلك إلحادًا ؛ لوجوب الإيمان بها وبما دَلَّت عليه من الأحكام والصِّفات اللاَّئقة باللَّه ، فإِنْكار شيءٍ من ذلك مَيْلٌ بها عَمَّا يجب فيها .

الثاني : أن يجعلها دالَّة على صفات تُشابه صفات المخلوقين :

كما فعل « أهل التَّشبيه » ؛ وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدلَّ عليه النُّصوص بل هي دَالَّة على بُطلانه ، فجعلها دالة عليه ، مَيْلٌ بها عمَّا يجب فيها .

الثالث : أن يسمِّي اللَّه تَعَالَىٰ لما لم يُسَمِّ به نفسه :

كتَسمِية النَّصارى له : « الأب » .

وتسمية الفلاسفة إياه : « العِلَّة الفاعلة » .

وذلك لأن أسماء اللَّه تَعَالَىٰ توقيفية ؛ فتَسْمِية اللَّه تَعَالَىٰ بما لم يُسَم به نفسه مَيْلٌ بها عَمَّا يجب فيها كما أَنَّ هذه الأسماء التي سَمَّوه بها نفسها باطلة يُنَزَّهُ اللَّه تَعَالَىٰ عنها . =

٧ـ وَلَا يُمَثِّـلُونَ : صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ .

لايقاس الله بخلقه

٨ـ لأَنَّه سُبْحَانَهُ ؛ لا سَمِيَّ لَهُ ، وَلَا كُفُوَ لَهُ ، وَلا نِدَّ لَهُ ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ .

٩ـ فَإِنَّه سُبْحَانَهُ ؛ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ ، وَأَصْدَقُ قِيلًا ، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ .

= **الرابع : أَنْ يشتق من أسمائه أَسماء للأَصْنام :**

كما فعل المشركون في : اشتقاق « العزى » من « العزيز » ، واشتقاق « اللَّات » من الإِله ، على أحد القولين ، فَسَمُّوا بها أَصنامهم .

* وذلك لأن أسماء اللَّه تَعَالَىٰ مُخْتَصَّة به لقوله تَعَالَىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

* وقوله : ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه : ٨] .

* وقوله : ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحشر : ٢٤] .

فكما اختصَّ بالعبادة ، وبالأُلُوهية الحق ، وبأنه يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّمَوَاتِ والأَرض ، فهو مُخْتَص بالأسماء الحُسْنَى ، فتَسْمِية غيره بها على الوجه الذي يختصُّ باللَّه عزَّ وجلَّ مَيْلٌ بها عما يجب فيها .

* ومنه : ما يكون شِركًا أو كفرًا حَسْبَما تَقْتَضِيه الأدلة الشَّرعية » اهـ

راجع : « بدائع الفوائد » لابن القيم (١ / ١٦٩ ـ ١٧٠) .

و « القواعد المثلى » لابن عثيمين ص (٤٩ ، ٥٠) .

(١) قوله : (**لا سَمِيَّ له**) : أي : مثيلًا ونظيرًا يستحق اسمه ، وموصوفًا يستحق صفته على التَّحقيق . وليس المعنى : هل نجد من يتسمَّىٰ باسمه إذا كان كثير من أسمائه قد يطلق على غيره ؛ لكن ليس معناه إذا استعمل فيه ، كما كان معناه إذا استعمل في غيره .

و **قوله : (وَلا نِد له) : « الأنداد »** : الأمثال والنُّظراء . فكل من صَرَفَ شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه رغبة فيه أو رهبة منه ؛ فقد اتخذه نِدًّا للَّه ؛ لأنه أشرك مع اللَّه فيما لا يستحقه غيره . وذلك كحال عُبَّاد الأموات الذين يستعينون بهم ، وينذرون لهم ، ويَحْلفون بأسمائهم .

راجع : « حاشية ابن مانع على الواسطية » (٢٦ ، ٢٧) .

١٠ـ ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُون مُصَدَّقُونَ[1] ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ .

١١ـ وَلِهٰذا قالَ سُبْحانَهُ وَتَعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢] .

١٢ـ فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفونَ للرُّسُلِ ، وَسَلَّمَ على المُرْسَلينَ لِسَلامَةِ ما قالوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ .

النفي والإثبات

١٣ـ وَهُو سُبْحَانَهُ قد جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَه بَيْنَ : النَّفيِ وَالإِثْبَاتِ .

الحُسْنَىٰ وصفاته العليا ، **وأنه مَبْنِيٌّ على أصْلين :**

أحدهما : النَّفي . وثانيهما : الإثبات .

* **أما النَّفي :**

فإنه ينفي عن اللَّه : ما يُضَاد الكمال ، من أَنْواع العيُوب والنَّقائص .

وينفي عنه أيضًا : أن يكون له شريك أو نديد أو مَـثِيل في شيء من صفاته أو في حقٍّ من حُقُوقه الخاصة . =

---

(١) في نسخة أخرى : « مصدوقون » .

. . . .

= فكل ما نَافَىٰ صفات الكمال فإن اللَّه مُنَزَّه عنه مُقَدَّس .

والنَّفْي مَقْصُودٌ لغيره . القَصْدُ منه : الإثبات . ولهذا لم يَرِد نفي شيءٍ في الكتاب والسُّنَّة عن اللَّه إلا لِقَصْدِ إثبات ضدّه .

فَنَفْي : « الشَّريك والنّديد » عن اللَّه ؛ لكمال عظمته وتَفَرُّده بالكمال .

ونَفْي : « السِّنَةِ » و « النَّـوم » و « الموت » ؛ لكمال حياته .

ونَفْي : عُزوب شيءٍ عن علمه وقدرته وحكمته ؛ كُلُّ ذلك لإثبات سعة علمه وشُمُول حكمته وكمال قدرته .

ولهذا كان التنزيه والنَّفي لأُمُور مُجْمَلة عامة .

* **وأما الإثْبات :**

فإنَّه يَجمع الأمرين :

ـ **إثبات المجملات** : كالحَمْد المُطْلَق ، والكمال المطلق ، والمجد المطلق ونحوها .

ـ **وإثبات المُفَصّلات** : كتفصيل علم اللَّه ، وقدرته ، وحِكْمَتُه ، وَرَحْمَتهُ ونحو ذلك من صِفَاته .

فأهل السُّنَّة والجماعة لَزِمُوا هذا الطَّريق الذي هو الصِّراط المستقيم ، صِرَاط الذين أنعم اللَّه عليهم . وبِلُزُومهم لهذا الطَّريق النَّافع تَمَّت عليهم النِّعمة وصَحَّت عقائدهم ، وكَمُلَت أخلاقهم .

/ 7 / أما من سَلَك غير هذا السَّبيل ، فإنَّه مُنْحَرِفٌ في عقيدته وأخلاقه وآدابه / .

لَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَت بِهِ المُرْسَلُونَ

١٤ــ فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَت بِهِ المُرْسَلُونَ .

١٥ــ فَإِنَّهُ الصِّراطُ المُسْتَقيمُ ، صِرَاطُ الَّذينَ أَنَعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ ، وَالشُّهَداءِ ، وَالصَّالِحِينَ .

* * * *

[الفصل الثاني

الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه]

* وَقَدْ دَخَلَ فِي هٰذِهِ الجُمْلَةِ :

سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن

١٦ـ ما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي « سُورَةِ الإِخْلاصِ » التي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ .

١٧ـ حَيْثُ يَقولُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١ ـ ٤] .

١٦ ، ١٧ ـ هذا شُروع في تفصيل النُّصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة الدَّاخلة في الإيمان باللَّه .

وأنَّه يجب فيها : إثباتها ، ونفي « التَّعطيل » و « التحريف » و « التَّكييف » و « التَّمثيل » عنها .

فثبت عنه ﷺ في « الصحيح »[(١)] إن هذه السورة « تَعْدِل ثُلُث القُرآن » .

وذلك كما قال أهل العلم : إن القرآن يحتوي على عُلُوم عظيمة كثيرة جدًّا وهي ترجع إلى ثلاثة علوم :

أحدها : عُلُوم الأحكام والشَّرائع ـ الدَّاخل فيها عُلُوم الفقه ـ كلها عباداته ومعاملاته ، وتَوَابعهما . =

(١) البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري .
ومسلم (٨١٢) (٢٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

. . . .

= **الثاني** : عُلُوم الجزاء على الأعمال والأسباب التي يُجَازى فيها العاملون من خيرٍ وَشَرٍّ ، وبيان تفصيل الـثَّواب والعقاب .

الثالث : علوم التَّوحيد ، وما يجب على العباد من معرفته والإيمان به ، وهو أشرف العلوم الثلاثة .

و « سورة الإخلاص » كفيلة باشتمالها على أُصُول هذا العلم وقواعده[١] .

فإن قوله : ﴿ **ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ أي : اللَّه متفرد بالعظمة والكمال ، ومتوحد بالجلال والجمال والمجد والكبرياء .

يُحَقِّق ذلك قوله : ﴿ **ٱللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ أي : اللَّه السَّيِّد العظيم الذي قد انتهىٰ في سُؤدده ومجده وكماله .

فهو : العظيم الكامل في عظمته ، العَلِيم الكامل في عِلْمِه ، الحليم الكامل في حِلْمِه ، فهو الكامل في جميع نُعُوته . =

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينًا معنى قوله ﷺ عن هذه السورة أنها « تعدل ثلث القرآن » : « أحسن الوجوه أن معاني القرآن ثلاثة أنواع : توحيد وقصص وأحكام .
وهذه السورة صفة الرحمن فيها التوحيد وحده ؛ وذلك لأن القرآن كلام الله.
والكلام نوعان : إما إنشاء ، وإما إخبار .
والإخبار إما خبرٌ عن الخالق ، وإما خبرٌ عن المخلوق ، فالإنشاء هو الأحكام كالأمر والنهي . والخبر عن المخلوق هو القصص . والخبر عن الخالق هو ذكر أسمائه وصفاته . وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضًا إلا هذه السورة » . « جواب أهل العلم والإيمان » ص (٩٧) .
وراجع أيضًا : « درء تعارض العقل والنقل » (٧ / ٢٧٢) .

. . . .

= ومن مَعَاني « **الصَّمَدُ** » : أنه الذي تَصْمد إليه الـخَلِيقة كلها ، وتقصده في جميع حَاجَاتها ومُهَمَّاتها ، فهو المقصود ، وهو الكامل المعبود .

فإثبات الأحدية للَّه ومعاني الصَّمدية كلها يتضمَّن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحُسْنىٰ والصِّفَات العُلَىٰ .

فهذا أحد نَوْعي التَّوحيد وهو الإثبات ، وهو أعظم النوعين .

والنوع الثاني : التَّنزيه للَّه عن الولادة والند والكفو والمثل .

وهذا داخل في قوله : ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ أي : ليس له مُكَافئ ولا مُمَاثِل ولا نَظِير .

فمتى اجتمع للعبد هذه المقامات المذكورة في هذه السُّورة بأن :

ـ نَزّه اللَّه وقَدَّسَهُ عن كل نَقْصٍ ونِدٍّ وكفو ومَثِيل / . / 8 /

ـ وشَهِدَ بقلبه تفرد الرَّب بالوحدانية والعظمة والكبرياء .

وجميع صفات الكمال التي ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين ؛ وهما « **الأحد الصَّمد** » .

ـ ثُمَّ صَمَدَ إلى ربِّه وَقَصَدَهُ في عبوديته وحاجاته الظاهرة والباطنة .

متى كان كذلك تمّ له : التَّوحيد العِلْمِي الاعتقادي ، والتوحيد العَمَلي .

فَحُقَّ لسورة تشتمل عن هذه المعارف أن تَعْدِلَ ثُلُث القرآن .

آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله

١٨ـ وَما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ في أَعْظَم آيَةٍ من كِتابه .

١٩ـ حَيْثُ يَقولُ : ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِـإِذْنِهِ يَعْلَـمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ ﴾ ـ أي : لا يُكرثه ولا يُثقله ـ ﴿ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

٢٠ـ وَلِهـٰذا كانَ مَنْ قَرَأَ هـٰذِهِ الآيَةَ في لَيْلَةٍ ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حافِظٌ ، وَلا يَقْرَبُهُ شَيْطانٌ حَتَّى يُصْبِحَ[١] .

---

١٨ ، ١٩ ـ وذلك لاشتمالها على أجل المعارف وأوسع الصِّفات .

فأخبر : أنه المُتَوَحِّد في الألوهية المستحق لإخلاص العبودية .

وأنه « **الحي** » الكامل ـ كامل الحياة ـ وذلك يقتضي كمال عزته ، وقدرته ، وسَعَة علمه ، وشُمولَ حكمته ، وعموم رحمته ، وغيرها من صفات الكمال الذاتية .

وأنه « **القيوم** » الذي قام بنفسه ، واستغنى عن جميع المخلوقات =

---

(١) يُشِيرُ رحمه الله إلى ما صحَّ عند البخاري (٣٢٧٥) معلقًا من حديث أبي هريرة قال : « وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ؛ فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله لله ـ فذكر الحديثَ فقال ـ : « إذا أَوَيت إلى فِراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حَافِظ ، ولا يَقْرَبُكَ شيطان حتى تُصْبح » فقال النبي لله : « صَدَقَكَ وهو كَذُوب » . وراجع : « تغليق التعليق » (٣ / ٣٩٦) لابن حجر .

. . . .

= وقام بالموجودات كلها ، فخلقها ، وأحكمها ، ورزقها ، ودبَّرها ، وأمدَّها بكل ما تحتاج إليه .

وهذا الإسم يتضمَّن جميع الصِّفات الفعلية .

ولهذا وَرَدَ : « أنَّ الحيّ القَيُّـوم ، هما الاسم الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ اللَّه به أَجَابَ ، وإذا سُئِلَ به أَعْطَىٰ »[1] .

لدلالة « **الحي** » على الصِّفات الذاتية

و « **القيوم** » على الصِّفات الفعلية .

والصِّفات كلها ترجع إليهما .

ومن كمال قيوميته وحياته : أنه لا تأخذه سِنَةٌ ـ وهي النعاس ـ ولا نوم .

* ثم ذَكَرَ عُمومَ ملكه للعالم العُلويِّ والسُّفلي .

ومن تمام مُلْكِهِ : أن الشفاعة كلها للَّه ، فلا يشفع عنده أحد إلَّا بِـإِذْنِهِ .

ففيها : ذكر الشَّفَاعة التي يجب إثباتها وهي التي تقع بِإِذْنِهِ لمن ارْتَضَىٰ

والشفاعة المنفية التي يعتقدها / المشركون ما كانت تُطلب من غير اللَّه وبغير إذنه . / 9 /

فمن كمال عظمة اللَّه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ولا يأذن إلا فيمن =

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) والحاكم (١ / ٥٠٦) من حديث أبي أُمامة ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٧٤٦) .

وراجع تعليق الشارح على الحديث في كتابه « توضيح الكافية الشافية ـ بتحقيقنا » ص (٤٦) .

. . . .

= رضي قَوله وعَمَلُه . وبيّن أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

* ثم ذكر سعة عِلْمه فقال : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهم** ﴾ أي : عِلْمُه مُحِيط بالأمور الماضية والمستقبلة ، فلا يَخْفَىٰ عليه منها شيء ، وأما الخَلْق فلا يحيطون بشيء من علم اللَّه ـ لا قليل ولا كثير ـ إِلَّا بما شاء أن يُعْلِمَهُمُ اللَّه على أَلْسِنَة رُسُله ، وبِطُرقٍ وأَسْبَاب مُتَنَوِّعةٍ .

﴿ **وسع كرسيه** ﴾ : قيل : إنه العرش ، وقيل : إنه غيره[1] ، وأنه كرسي مُلْكِه من عظمته وسعته أنه وَسِعَ السموات والأرض .

ومع ذلك ﴿ **فلا يَؤودُه** ﴾ أي : لا يُثْقِلُه وَيُكرِثهُ حفظهما ـ أي حفظ العالم العُلويّ والسُفليّ ـ وذلك لكمال قُدرته وقُوّته . =

(١) **صحيح موقوفًا** : عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ : « الكُرسِيُّ مَوضِعُ القَدَمَينِ لا يُقَدِّر أَحَدٌ قدره » أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كِتَابِ العَرشِ (٦١) وعبداللَّه بن أحمد فى السنة (٤٠٧) والدارمي في الرد على المريسي ص (٧١ : ٧٤) وابن خزيمة في التوحيد ص (١٠٧ ، ١٠٨) والطبري في التفسير (٥٧٩٢) والطبراني في الكبير (١٢٢٠٤) والدارقطنى في كتا الصفات (٣٦ ، ٣٧) والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٢) من طريق سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا عليه . وإسناده حسن : فعمار الدُّهني أبو معاوية البجلي صدوق كما في التقريب ص (٤٠٨) .

وقال الهيثمي في المجمع (٦ / ٣٢٣) : « رجاله رجال الصحيح » اهـ .

وصح أيضًا : عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ : « الكُرسِيُّ مَوضِعُ القَدَمَينِ وَلَهُ أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرجل » أخرجه محمد بن عثمان أبي شيبة في كتاب العرش (٦٠) والذهبي في العلو (١٢٤ – مختصر) وإسناده صحيح موقوف كما قال الألباني في مختصره العلو .

وراجع : الدراسة لكتاب العرش للحافظ الذهبي (١ / ٣٠٨) للدكتور محمد خليفة التميمي .

* صفة الحياة

٢١ـ وَقَوْلُهُ سُبْحانَهُ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

* * * *

* صفة العلم

٢٢ـ وَقَوْلُهُ سُبْحانَهُ : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

= وفيها : بيان لعظيم نعمة اللَّه عَلَىٰ الخلق إِذْ خَلَقَ لهم السَّموات والأرضين وما فيهما وحَفِظَهما وأمسكهما عن الزَّوال والتَّزَلزُل ، وجعلهما على نظامٍ بديعٍ جامع للأحكام والمنافع المُتعَدِّدة التي لا تحصى .

﴿ **وَهُو العَلِيّ** ﴾ : الذي له العلو المُطْلق من جميع الوجوه :

عُلُوِّ الذَّات : بكونه فوق جميع المخلوقات على العرش اسْتَوىٰ .

وعُلُوِّ القَدْر : إذ كان له كُلُّ صفة كمال ، وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها .

﴿ **العَظِيم** ﴾ : الذي له جميع أَوْصَاف العظمة والكبرياء ، وله العظمة والتعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه الذي لا أعظَمَ منه ولا أجَلَّ ولا أكبر .

فَحَقِيقٌ بآية تحتوي عَلَىٰ هذه المعاني الجليلة أن تكون أعظم آيات القرآن وأن يكون لها من المنع وحفظ قارئها من الشُّرور والشَّياطين ما ليس لغيرها .

٢٢ـ وقوله : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

قد فسَّر النبي ﷺ هذه الأَسْماء الأربعة بتفسيرٍ مختصرٍ جامعٍ واضحٍ =

٢٣ــ وقوله سبحانه : ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمِ ﴾[١] [التحريم : ٣] .

٢٤ــ : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ [سبأ : ٢] .

= حيث قال : « أنت الأَوَّل فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدكَ شيء ، وأنت الظَّاهر ، فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فَلَيْسَ دُونك شيء »[٢] .

وهذا يَدُلُّ على كمال عظمته وأنه لا نهاية لها ، وبيان إحاطته من كل وجه .

فـ « **الأول والآخر** » : إِحَاطَتِه الزَّمانية .

و « **الظاهر والباطن** » : إحاطته المكانية .

ثُمَّ صَرَّح بإحاطة علمه بكل شيء ؛ من الأُمور المَاضية والحَاضِرة والمستقبلة / ، ومن العالم العُلويّ والسُّفليّ ، ومن الظواهر والبواطن والواجبات والجائزات والمستحيلات ، فلا يَغِيب عن عِلْمه مِثْقَالُ ذَرّة في الأَرْضِ ولا في السَّماء . / 10 /

---

(١) في المطبوعة : ﴿ وهو العليم الخبير ﴾ ولا يوجد في القرآن آية بهذا اللفظ وإنما أقربها إلى السياق قوله تعالى ﴿ نبأني العليم الخبير ﴾ [التحريم : ٣] . وفي نسخة أخرى أيضًا : ﴿ وهو العليم الحكيم ﴾ والصواب حذف ﴿ وهو ﴾ .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (٢٧١٣) (٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وراجع : « توضيح الكافية الشافية » ص (٤٦) .

٢٥ـ : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

٢٦ـ : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر : ١١] .

٢٧ـ وقوله : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

* * * *

* صفة القوة

٢٨ـ وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

* * * *

* صفة السمع وصفة البصر

٢٩ـ وقَوْلُهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

٣٠ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] .

* * * *

* صفة الإرادة

٣١ـ وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] .

٣٢ـ وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

٣٣ـ وَقَوْلُهُ : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] .

٣٤ـ وَقَوْلُهُ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* * * *

٣٥ـ وقوله : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] * صفة المحبة

٣٦ـ : ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

٣٧ـ : ﴿ فَمَا ٱسْتَقَامُوا لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٧].

٣٨ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

٣٩ـ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

٤٠ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] .

٤١ـ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

* * * *

٤٢ـ وقوله : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة : ٣٠] . * صفة الرضى

* * * *

* صفة الرحمة

٤٣ـ وقوله : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠] .

٤٤ـ : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] .

٤٥ـ : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

٤٦ـ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

٤٧ـ : ﴿ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

٤٨ـ : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] .

* * * *

* صفات : الغضب والسخط والكراهية والبغض

٤٩ـ وقوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [النساء : ٩٣] .

٥٠ـ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾[محمد:٢٨].

٥١ـ وقوله : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف : ٥٥] .

٥٢ـ وقوله : ﴿ وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٦]

٥٣ـ وقوله : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣] .

* * * *

* صفتي : المجيء والإتيان

٥٤ـ وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

٥٥ـ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ

بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

٥٦ـ :﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢١ ـ ٢٢] .

٥٧ـ :﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمَامِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[الفرقان : ٢٥] .

* * * *

٥٨ـ وقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

٥٩ـ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] .

◦ صفة الوجه لله سبحانه

* * * *

٦٠ـ وقوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

◦ إثبات اليدين لله تعالى

٦١ـ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

* * * *

٦٢ـ وقوله : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] .

◦ إثبات العينين لله تعالى

٦٣ـ وقوله : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١٣ ـ ١٤] .

٦٤ـ : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] .

* * * *

* صفتي السمع والبصر لله تعالى

٦٥ـ وقوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] .

٦٦ـ : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

٦٧ـ : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٠] .

٦٨ـ : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] .

٦٩ـ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

٧٠ـ : ﴿ ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٨ - ٢٢٠] .

٧١ـ ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

* * * *

* صفات المكر والكيد والمِحال لله تعالى على ما يليق بجلاله

٧٢ـ وقوله : ﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] .

٧٣ـ وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ واللَّه خيرُ المَاكِرين ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

٧٤ـ وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : ٥٠] .

٧٥ـ وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٥ ، ١٦]

* صفات العفو والمغفرة والرحمة والعزة والقدرة

٧٦ـ وقوله : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٩] .

٧٧ـ : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .

٧٨ـ وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

٧٩ـ وقوله [عن إبليس] : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٢] .

* * * *

* إثبات الاسم للّه

٨٠ـ وقوله : ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

٨١ـ وقوله : ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥]

* * * *

* آيات الصفات المنفية في تنزيه اللّه ونفي المثل عنه

٨٢ـ : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] .

٨٣ـ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] .

٨٤ـ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

٨٥ـ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ١١١] .

٨٦ـ ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ

ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن : ١] .

٨٧ـ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ١ ـ ٢] .

٨٨ـ ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١ ـ ٩٢] .

٨٩ـ ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٤] .

٩٠ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

* * * *

* استواء اللّه على عرشه

٩١ـ وقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

٩٢ـ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ في ستة مواضع : [الأعراف : ٥٤] [يونس : ٣] [الرعد : ٢] [الفرقان : ٥٩] [السجدة : ٤] [الحديد : ٤] [(١)] .

(١) وقع في كثير من النسخ المطبوعة للمتن أو التي ضُمَّت للشروح كما في النسخة التي اعتمد عليها المصنف في شرحه « سبع مواضع » وهو خطأ والصواب : « ست » وهو الموافق للسياق . راجع : الدراسة حول نسخ متن الواسطية في طبعتنا الجديدة له ص (٤٠) .

* إثبات علو الله على مخلوقاته

٩٣ـ وقوله: ﴿ يَاعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

٩٤ـ : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] .

٩٥ـ : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

٩٦ـ : ﴿ يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر : ٣٦ ـ ٣٧] .

٩٧ـ : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك : ١٦ ـ ١٧] .

* * * *

* إثبات معية الله لخلقه

٩٨ـ وقوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

٩٩ـ ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] .

١٠٠ـ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

١٠١ـ ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] .

١٠٢ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

١٠٣ـ ﴿ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

١٠٤ـ ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

* * * *

* إثبات الكلام لله تعالى

١٠٥ـ وقوله : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] .

١٠٦ـ ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] .

١٠٧ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَاعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

١٠٨ـ ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] .

١٠٩ـ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

١١٠ـ ﴿ مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

١١١ـ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

* * * *

١١٢ـ ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] .

١١٣ـ ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠] .

١١٤ــ ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢].

١١٥ــ ﴿ ويَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص : ٦٢].

١١٦ــ ﴿ ويَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٦٥].

* * * *

١١٧ــ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦].

١١٨ــ ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعْلَمُون ﴾ [البقرة : ٧٥].

١١٩ــ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾ [الفتح : ١٥].

١٢٠ــ ﴿ وَٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الكهف : ٢٧].

١٢١ــ ﴿ إِنَّ هَذَا ٱلْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [النمل : ٧٦].

* * * *

* إثبات أن القرآن مُنَزَّل من اللّه تعالى

١٢٢ــ ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام : ١٥٥].

١٢٣ــ ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا ٱلْقُرْآنَ عَلَىٰ جبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١].

١٢٤ــ ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنت

مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠١ ـ ١٠٣] .

* * * *

* إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

١٢٥ـ وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ـ ٢٣] .

١٢٦ـ ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين : ٢٤] .

١٢٧ـ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] .

١٢٨ـ ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] .

١٢٩ـ وهذَا البَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تعالى كَثِيرٌ .

١٣٠ـ وَمَنْ تَدَبَّرَ القُرآنَ طَالِبًا للهُدَى منه ؛ تَبيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ .

---

١٧ : ١٣٠ ـ أقول : ذكر المُصَنِّف رحمه اللَّه في هذا المَوْضِع عِدّة آيات وكلها داخلة في الإيمان باللَّه ، وَيتَّضِحُ معناها عُمومًا وخُصوصًا بِذِكْر أُصول وضوابط توضحها فيما يأتي :

ـ **منها** : أن هذه النُّصوص القرآنية تَنْطبق عليها القاعدة المتفق عليها بين السَّلف وهو : أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصِّفات وما نشأ عنها من الأفعال . =

. . . .

= مثال ذلك : « **القُدْرة** » ، يجب علينا الإيمان بأنَّه على كل شيء قدير والإيمان بكمال قدرة اللَّه ، والإيمان بأن قُدرته نشأت عنها جميع الكائنات وبأنه « عليم » ذو عِلْم مُحِيط ، وأنه يعلم الأشياء كلها .

وهكذا بقية الأسماء الحُسْنىٰ على هذا النَّمط .

فما في هذه الآيات التي ذكرها المُصَنِّف من الأسماء الحُسْنىٰ فإنَّها داخلة في الإيمان بالأسماء . وما فيها من ذكر الصفات مثل : « عزة اللَّه » و « قدرته » و « علمه » و « حكمته » و « إرادته » و « مشيئته » و « كلامه » و « أمره » و « قوله » ونحوها ، فإنها داخل في الايمان بالصفات .

وما فيها من ذِكْر الأفعال المُطْلَقَة والمُقَيَّدة مثل : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ويَعْلَم كذا وكذا ، ويَحْكُم ويُريد ، وَسمِعَ ويسمع ويرى ، وأسمع وأرى ، وقال ويقول ، وكلَّم ويُكَلِّم ، ونادىٰ وناجىٰ ، ونحوها من الأفعال فإنه داخل في الإيمان بِأَفْعَالِه تَعَالىٰ . / 14 /

فَعَلىٰ العبد الإيمان بكل ذلك إجمالًا وتفصيلًا وإطلاقًا وتقييدًا على الوجه اللائق بجلال اللَّه وعظمته ، وأن يعلم أن صفاته لا تشبهها صفات المخلوقين كما أن ذَاته لا تُشْبِهُها ذَوَات المخلوقين .

ـ ومن الأُصول المتَّفق عليها بين «السَّلف» التي دَلَّت عليها هذه النصوص : أنّ صفات الباري قسمان :

« **صفات ذاتية** » : لا تَنْفَك عنها الذَّات كصفة : « الحياة » ، و « العلم » =

. . . .

= و « القدرة » ، و « القوة » ، و « العزة » ، و « الملك » ، و « العظمة » والكبرياء ونحوها ، والعلو المطلق .

و« **صفات فِعليَّة** » : تَتَعَلَّقُ بها أفعاله كل وقت وآن وزمان ، ولها آثارها في الخلق والأمر . فيؤمنون بـأنه فَعَّالٌ لما يريد .

ـ وأنه لم يَزَل ولا يَزَال يقول وَيَتَكلَّم ويخلق وُيدبِّر الأُمور .

ـ وأَنَّ أفعاله تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لحكمته وإرادته ، كما أن شرائعه وأوامره ونواهيه الشَّرعية لا تزال تقع شيئًا فشيئًا .

وقد دلَّ على هذا الأَصْل الكبير : ما في هذه النصوص من ذِكْرِ : (قال) و (يَقُول) ، و (سمع) و (يَسْمع) ، و (كَلَّم) و (يكلم) ، و (نادى) و (ناجىٰ) و (عَلِم) و (كتب) و (يكتب) و (جاء) (يجيء) و (أتى) و (يأتي) ، و (أوحى) و (يُوحي) ونحوها من الأفعال المتنوعة التي تقع مُقَيَّدة بأوقاتها ، كما سمعت في هذه النُّصوص المذكورة آنفًا . وهذا من أَكْبَر الأُصول وأَعْظمها . ولقد صنف فيه المؤلف مُصَنَّفًا مستقلا وهو المسمى بـ « الأَفْعَال الاختيارية »[1] .

فَعَلَىٰ المؤمن : الإيمانُ بِكُلِّ ما نَسَبَهُ اللَّه لنفسه ؛ من الأفعال المُتَعَلِّقة بذاته كـ « الاستواء على العرش » ، و « المجيء » ، و « الإتيان » ، و « النزول إلى السماء الدنيا » ، و « القول » ، ونحوها / . =

/ 15 /

(١) طبع طبع بتحقيق د . محمد رشاد سالم ضمن جامع الرسائل (جـ ٢ / ٣ ـ ٧٠) . بعنوان : « الصفات الاختيارية » وطبع أيضا ضمن « مجموع فتاوى شيخ الإسلام) (٦ / ٢١٧) .

. . . .

= والمتعلقة بخلقهِ كـ « الخَـلْقِ » و « الرِّزق » و « أنواع التدبير » .

ء **ومن الأُصول الثَّابتة في الكتاب والسُّنة المُتَّفَق عليها بين السَّلف : التَّفريق بين مشيئة اللَّه وإرادته وبين مَحَبَّته**

« **فمشيئة اللَّه وارادته الكونية** » تتعلَّق بكلِّ موجود محبوب للَّه وغير محبوب ، كما ذُكر في هذه الآيات أن اللَّه يَفْعَل ما يُريد وما يشاء ، وإذا أراد شيئًا قال له : كُن فَيَكُون .

وأما « **مَحَبَّته** » فإنها تتعلق بما يُحِبُّه خاصّة من الأشخاص والأعمال كما ذكر في هذه الآيات تقييدها بأنه يحب الصَّابرين والمتقين والمؤمنين والمحسنين والمقسطين ونحوها . فَمَشِيئته عامة للكائنات ، ومحبته خاصة ومُتَعَلِّقة بالمحبوبات .

ويتفرَّع عن هذا أَصْلٌ آخر وهو : التَّفْرِيق بين الإرادة الكونية ؛ فإنها تُطَابق المشيئة ، وبين الإرادة الدِّينية ، فإنها تُطَابق المحبَّة .

فالأُول مثل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج : ١٤] ، ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] ونحوها . **والثَّاني** نحو : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٧] .

ومع ذلك فجميع ذلك خاصُّه وعامُّه يثبته أهل السنة والجماعة على الوجه الذي قاله الله وقاله رسوله .

* **ومن أُصول أهل السُّنة والجماعة الثابتة : إِثْبَاتُ علو اللَّه عَلَى خَلْقِه وإستوائه على عرشه .** =

. . . .

= وهي من أهم الأُصول التي بَايَنَ بها « أهل السُّنَّة » : « للجهمية » و « المعتزلة » و « الأَشَاعِرة » .

فما في هذه الآيات من ذِكْر عُلوه واسمه العلي الأعلى ، وصُعُود الأشياء إليه وعُرُوجها ونُزُولها منه يَدُلُّ على العلو .

وما صرَّح به من استوائه على العرش بُرْهَانٌ قاطع على ثبوت ذلك .

وقد قيل للإمام مالك : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟ فقال : « الاستواء مَعْلُوم ، والكَيْف مَجْهُول ، والإيمان به وَاجِب ، والسُّؤَال عنه - أي عن الكيفية - بِدْعة »[1] / .

/ 16 /

وفي هذه الآيات : ذكر مَعِيّة اللَّه العامة ، كقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧]

وهذه المعية تَدُلُّ على إحاطة عِلْمُه بِالعِبَاد ، ومُجازاته لهم بِأعمالهم .

وفيها : ذكر المَعِيَّة الخاصَّة كقوله : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

﴿ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] .

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] . =

(١) **أثرٌ صحيحٌ** : تقدم تخريجه ص (٢٢) .

. . . .

= وهذه الآيات تَدُلُّ ـ مع العلم المحيط ـ عَلَىٰ العِنَاية بمن تَعَلَّقت به تلك المعيَّة وأن اللَّه معهم بعَوْنِه وحفظه وكلائَته وتوفيقه .

وإذا أردت أن تعرف هل المراد المعيَّة العامَّة أو الخاصَّة ؟ فانظر إلى سِيَاق الآيات .

* فإن كان المقام مقام تَخْويف ومُحَاسبة للعِباد علىٰ أعمالهم وَحثٌّ على مُرَاقبة الله فإِنَّ المعية عامة ، مثل قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ﴾ الآية [المجادلة : ٧] .

* وإن كان المقام مقام لُطْف وعناية من اللَّه بأنبيائه وأصفيائه ـ وقد رُتِّبت المعية على الاتصاف بالأوصاف الحميدة ـ فإنّ المعيّة معيَّة خاصة وهو أَغْلَب إِطْلاقاتها في القُرآن ، مثل : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ونحوها .

*** ومن الأُصول العظيمة : إثبات تَفَرُّد الرَّب بكل صفة كمال وأنه ليس للَّه شريك ولا مثيل في شيء منها**

والنصوص المذكورة التي فيها نفي : « الند » ، و « المثل » و « الكفو » و « السَّمِيِّ » عن اللَّه ؛ تدلُّ على ذلك ، وتدلُّ على أنه مُنَزَّه عن كُلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ وآفَةٍ .

*** ومن أُصول أهل السُّنَّة والجَمَاعة الثَّابتة : إِثْبَاتُ رُؤية المؤمنين لربهم في دار القرار والتَّنَعُّم برؤيته وقربه ورضاه .**

ويدلُّ على ذلك من الآيات التي ذكرها المُصَنِّف :

* قوله تعالىٰ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي جميلة نَاعِمة حسنة .

. . . .

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وهذا صَرِيحٌ في نَظَرِهم إلى رَبِّهم .

* وكذلك قوله : ﴿ عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين : ٢٣] . أي : إلى مَا اَعْطَاهم من النَّعيم الذي أَجَلّه وأعظَمُهُ النَّظر إلى ربهم .

* وكذلك قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ أي وَفُّوا مَقَام الإحسان لهم ﴿ الْحُسْنَى ﴾ التي هي الجنة ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] وهي النَّظر / إلى وجه اللَّه الكريم[١] . / 17 /

* وكذلك قوله : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] .

فصل

*** اعلم أن أهل السُّنَّة والجماعة وهم الصَّحابة والتابعون لهم بإحسان وأهل القرون المفضلة متفقون على :**

* إثبات جميع ما ورد في الكتاب والسُّنَّة من صفات اللَّه لا فرق بين الذاتية منها كـ : « العلم » و « القدرة » و « الإرادة » و « الحياة » و « السمع » و « البصر » ونحوها ، ولا بين الفعلية كـ : « الرضى » و « الغضب » و « المحبة » و « الكراهية » .

* وكذلك : لا فرق بين إثبات « الوجه » و « اليدين » ونحوها ، وبين « الاستواء على العرش » و « النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة » وغيرها . فكُلها يُثْبِتُونَهَا من غير نفي لشيء منها ولا تأويل ولا تحريف ولا تمثيل ، وهذا هو الحق وهو الصراط المستقيم ــ وهو الطريق المُنْجي من عذاب اللَّه ــ والهدى والنور .

---

(١) هذا التفسير صحَّ مرفوعًا عند مسلم (١٨١) (٢٩٧) من حديث صهيب رضي اللَّه عنه .

. . . .

= **وخَالَفَهُم في هذا الأصل طائفتان من أهل البِدَع :**

إحداهما : « **الجهمية** » و « **المعتزلة** » على اختلاف طَوَائِفهم ، فإنهم نفوا جميع الصفات ولم يُثْبِتُوا إلا الأسماء والأحكام .

والآيات السابقة كلها تنقض قولهم وَتُبْطِلُه ، وكذلك كلامهم هذا يَنْقُض بعضُه بعضًا ، فإن إثبات الأسماء والأحكام بلا أوصاف تقوم باللَّه مُحَال عَقْلًا كما أنه باطل سمعًا .

الطائفة الثانية : « **الأَشْعرية** » ومن تَبِعَهُم وهم أَخَفُّ حالًا وأَهْوَن من « المعتزلة » لأنهم وافقوا « أهل السُّنَّة » في شيء ، ووافقوا « المعتزلة » في شيءٍ .

ـ وافقوا « أهل السُّنَّة » في إثبات الصِّفات السَّبع ، وهي : « الحياة » و « الكلام » و « العلم » و « السَّمع » و « البَصَر » و « الإرادة » و « القدرة » .

ـ ووافقوا « المعتزلة » في بقية الصِّفات .

والجميع مَحْجُوجون بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والقُرُون المُفَضَّلة علىٰ الإثبات العام .

وأما النَّفي للصِّفات كلها أو التَّناقض فإنَّه مُخَالف للكتاب والسُّنَّة ومُنَافٍ للعقل الصَّحيح .

فلا يَثْبُت للعبد إيمان إلا بالإيمان المحض والتسليم لما جاء به الرَّسول بِلا شَرْط ولا قَيْد ، والدَّوَرانِ مع النُّصوص الشَّرعية إِثباتًا ونَفْيًا / .

/ 18 /

[الفصل الثالث]

[الإيمان بما وصف به الرسول ﷺ ربه]

* **ثُمَّ سنة رسول اللَّه ﷺ :**

١٣١ـ تُفَسِّرُ القُرآنَ ، وَتُبَيِّنُهُ ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ .

أحاديث الصِّفات

١٣٢ـ وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّه ، مِن الأَحَادِيثِ الصِّحاحِ الَّتي تَلَقَّاها أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ ؛ وَجَبَ الإيمان بِهَا كَذَلِكَ .

فصل

في سنة رسول اللَّه

١٣١ ، ١٣٢ ـ أي إيمانًا خاليًا من التَّعطيل والتَّحريف ، ومن التَّكييف والتَّمثيل ، بل إثباتنا لها على الوجه اللائق بِعَظَمَةِ الرَّب .

وحُكْمُ السُّنة حُكْمُ القرآن ، في ثُبوت العلم واليَقين والاعتقاد والعمل ؛ فإِنَّ السُّنة توضيح القُرآن ، أو بَيان لـمُـجْمله ، أوتقييد لـمُطْلَقه .

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء : ١١٣] أي السنة .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وذلك مثل **قوله** ﷺ : **(يَنْزِلُ رَبُّنا إلى سَماءِ الدُّنْيا كُلَّ لَيْلَةٍ ..) إلخ** =

١- في إثبات نزول اللَّه إلى السماء الدنيا

١٣٣ـ مثل قوله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنا إلى سَماءِ الدُّنْيا كُلَّ لَيْلَةٍ ، حينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ ، فَيَقولُ : مَنْ يَدْعوني فَأَسْتَجيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ » . متفق عليه[1] .

١٣٣- فهذا الحديث قد استفاض في الصِّحاح والسُّنن والمسَانيد ، واتُّفق على تَلَقِّيه بالقَبُول والتَّصديق أهل السُّنَّة والجماعة بل جميع المسلمين الذين لم تُغَيِّرهم البدع ، وعَرَفُوا به عظيم رحمة ربهم وَسَعة جُوده واعتنائه بعباده وتعرضه لحوائجهم الدِّينية والدنيوية ، وأن نزوله حقيقة كيف يشاء ، فَيُثْبِتُون النزول كما يُثْبتون جميع الصِّفات التي ثبتت في الكتاب والسنة ، ويقفون عند ذلك ، فلا يُكَيِّفون ، ولا يُمَثِّلون ، ولا يَنْفُون ويُعطِّلون .

ويقولون : إنَّ الرسول أخبرنا : أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل ، وقد علمنا : أنه فَعَّال لما يُريد ، وعلىٰ كل شيء قدير .

ولهذا كان خواص المؤمنين يتعرَّضون في هذا الوقت الجليل لألطاف رَبِّهم ومَوَاهِبه ، فيقومون بعبوديّته خاضعين خاشعين داعين مُتَضرعين ، يرجون منه حُصُول مطالبهم التي وَعَدَهم إيَّاهَا على لسان رسوله ﷺ .

ويعلمون أنَّ وَعْده حَقٌّ ، ويخشون أن تُرَدَّ أدعيتهم بذنوبهم وَمَعاصِيهم فيجمعون بين الخوف والرَّجاء ، ويعترفون بكمال نعمة اللَّه عليهم فتمتلئ قُلُوبهم من التعظيم والإيمان من التصديق والإذعان / . / 19 /

(١) البخارى (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) (١٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
وفى الباب عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه : أخرجه مسلم (٧٥٨) (١٧٢) .
وراجع للاستفادة : « شرح حديث النزول » لابن تيمية .

٢- في إثبات الفرح لله عز وجل

١٣٤ـ وقوله ﷺ : « لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِراحِلَتِهِ .. » الحديثَ . متفق عليه[1] .

١٣٤- وهذا فَرَحُ جُودٍ وإحسان ؛ لأنه جلَّ جلاله يُنَوِّع جُودُه وكَرَمُه علىٰ عباده في جميع الوجوه ، ويحب من عباده أن يَسْلُكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمته وإحسانه ، ويكره لهم ضد ذلك ؛ فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسبابًا ؛ وبَيَّـنَـها لعباده ، وَحثَّهم على سُلُوكها وأعانهم عليها ، وَنَهاهُم عن ما يُنَافيها ويمنعها .

فإذا عَصُوه وَبارَزُوه بالذُّنوب فقد تَعَرَّضُوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرَّضوا لها ، فإذا راجعوا التوبة والإنابة فرح بذلك أعظم فرح يُقَدَّر ، فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مُهْلِكة ، وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادّة حياته من طعام وشراب وركوب ، فَأَيِس منها وجلس ينتظر الموت ، فإذا هو بها واقفة على رأسه فأخذ بخطامها وكاد الفرح أن يقضي عليه وقال من الدَّهش وشدة الفَرَح : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ » .

فهل يوجد فرح أعظم من فرح الآيس من حياته إذا حصلت له على أكمل الوجوه . فتبارك الرب الكريم الجوَّاد الذي لا يُحْصِي العباد ثناءً عليه ، هو كما أثنىٰ على نفسه وفوق ما يُثْني عليه عباده . وهذا الفرح تَبَعٌ لغيره من الصِّفات كما تقدَّم : أن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذَّات .

فهذا فَرَحٌ لايُشبه فرح أَحَد من خلقه ، لا في ذاته ولا في أسبابه ولا في غاياته، فسببه الرَّحمة والإحسان ، وغايته إتمام نعمته على التَّائبين المُنِيبين .

(١) البخارى (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) (٨) ، (٧) من حديث أنس رضي اللَّه عنه .

١٣٥ـ وقوله ﷺ : « يَضْحَكُ اللَّهُ إلى رَجُلَيْنِ ؛ يَقْتُل أحَدُهُما الآخَر ؛ كِلاهُما يَدْخُلُ الجَنَّةَ » متفق عليه[١] .

٣- في إثبات الضحك

١٣٥- وهذا أيضًا من كماله وكمال إِحْسَانه ، وسَعَة رَحْمته .

فإن المسلم يُقاتل في سَبِيل اللَّه ، ويَقْتُله الكافر ، فيكرم اللَّه المسلم بالشَّهادة ثم يَمُنُّ اللَّهُ على ذلك الكافر القاتل فَيَهْدِيه للإسلام ، فيدخلان الجنة جميعًا وهذا من تفريع جُوده المُتَتَابِع على عباده من كل وجه .

/ 20 /

والضَّحك يكون من الأُمور العجيبة / التي تخرج عن نظائرها .

وهذه الحالة المذكورة كذلك .

فإن تسليط الكافر على قتل المسلم في بادئ الأمر أَمْرٌ غير مَحْبُوب ، ثم هذا المتجرِّئُ على القتل يتبادر لأذهان كثير من الناس أنه يبقىٰ على ضلاله ويُعاقب في الدنيا والآخرة ، ولكن رحمة اللَّه وإحسانه فوق ذلك كله ، وفوق ما يظن الظَّانون ويتوهَّم المُتوهِّمون .

وكذلك لما دعا النبي ﷺ على أُناسٍ من رُؤَساء المُشْركين لِعِنَادِهم وأذيَّتهم بالطَّرد عن رَحْمة اللَّه أنزل اللَّه قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية[٢] [آل عمران : ١٢٨] .

فَتَابَ عَلَيهم بعد ذلك ، وحَسُنَ إِسْلام كَثِير منهم .

(١) رواه البخارى (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) (١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٢) البخاري (٤٥٥٩ ، ٤٥٦٠) من حديث ابن عمر ، وأبي هريرة رضي الله عنهم .

٤- في إثبات العجب وصفات أخرى

١٣٦ـ وقوله ﷺ : « عَجِبَ رَبُّنا مِنْ قُنوطِ عِبادِهِ وقُرْبِ غِيَرِهِ[١] ؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ » حَدِيثٌ حَسَنٌ[٢] .

١٣٦ـ وهذا العَجَبُ الذي وصف الرسول به ربَّه من آثار رَحْمته اللَّه ، وهو من كماله تعالى ، واللَّه تعالى ليس كمثله شيء في جميع نُعُوته . فإذا تأخَّر الغيثُ عن العباد مع فَقْرهم وشِدَّة حَاجَتِهم اسْتَولىٰ عليهم اليأس والقُنوط وصار نظرهم قاصرًا على الأسباب الظاهرة وحَسبوا أن لا يكون وراءها فَرَجٌ من القريب المُجِيب ، فيعجب اللَّه منهم . وهذا مَحَلّ عجب ! =

(١) في نسخة الشارح : « **وقرب غيثه** » وهذا اللفظ أورده ابن كثير في تفسيره (١ / ٢٥٢) ولم يعزه .

(٢) رواه أحمد (٤ / ١١) وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رزين بنحوه ، وفيه : « ضحك ربنا .. » ؛ وفي إسناده ضعف فيه وكيع بن حُدُس ، مقبول ـ يعني عند المتابعة وإلا فهو ضعيف ـ إلا أن للحديث طريق آخر يقويه توبع فيه وكيع وهو عند عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (٤ / ١٢) والسنة (١١٢٠) و الطبراني في الكبير (١٩ / ٢١١ ـ ٢١٤) بلفظ : « وعلم الله يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غِيركم إلى قرب » وقد **حسَّنه الألباني بمجموع هذين الطريقين في « الصحيحة »** (٢٨١٠) بعد أن كان قد قديما ضعفه قديمًا في « ضعيف ابن ماجه » برقم (٣١) وفي تعليقه على « التنكيل » للمعلمي اليماني (١ / ٣٤٧) وكنت قد تابعته في ذلك فليتنبه .

« **وقُرْبِ غِيَرِهِ** » : اسم من قولك : غَيرت الشيءَ فتغير . أي : تغيّر الحال ، والمعنى أن الله تعالى يعجب من العبد أن يصير يائسًا قنوطًا بأدنى شر وقع عليه مع قرب تغييره سبحانه الحال .

« **أزلين** » : « الأزل » : الشِّدة والضِّيق .

ومما يلاحظ : أن ألفاظ الروايات تثبت صفة الضحك وهي غير صفة العجب !

وقد وَرَدت صفة العجب في حديث الضَّيف عند البخاري (٤٨٨٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « لقد عجب اللَّه عز وجل ـ أو ضحك ـ من فلانةٍ وفلانةٍ ، فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ » .

٥- في إثبات الرجل أو القدم

١٣٧ـ وقوله ﷺ : « لا تزال جهَنَّمُ يُلقى فيها ، وتَقولُ : هَل مِنْ مَزيدٍ ؛ حتّى يَضَع رَبُّ العِزَّةِ فيها ـ وفي رواية : عليها ـ قَدَمَهُ فَيَنْزَوي بَعضُها إلى بَعْضٍ ، وَتَقولُ : قَط قَط » . متفق عليه[(١)] .

= كيف يقنطون ورحمته وَسِعَت كل شيء ؟ والأسباب لحصولها قد توَّفَرت فإن حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته ، والدُّعاء لحصول الغيث والرَّجاء للَّه من الأسباب ، وَوُقُوع الغيث بعد امتناعه مُدّة طويلة وحُصُول الضَّرورة يُوجِبُ أن يكون لفضل للَّه وإحسانه مَوقع كبير وأثر عَجيب ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ الآيات [الروم : ٤٨ ، ٤٩] .

واللَّه تعالى قدَّر من الطَافِة وعوائده الجميلة : أن الفرج مع الكرب ، وأن اليُسْر مع العُسْر ، وأن الضَّرورة لا تَدُوم ، فإن حصَّل مع ذلك قوة التجاء وشدّة طمع بِفَضْل اللَّه ورجاء وتضرع كثير ودُعَاء ؛ فتح اللَّه عليهم من خزائن جُودِهِ ما لا يخطر بالبَال .

وفي لفظ : « وقُرْب غِيَره » أي : تغييره الشِّدة بالرخاء / . / 21 /

١٣٧- وهذه الصِّفة تجري مجرى بقية الصِّفات ، تُثْبَتُ للَّه حقًا على الوجه اللائق بعظمة اللَّه ؛ وذلك أن اللَّه وعد النار مَلأَها ، كما قال : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] . =

(١) البخاري (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨) / (٣٧) ، (٣٨) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه .

٦- في إثبات الكلام والصوت

١٣٨ـ وقوله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تعالى : يا آدَمُ !

فَيَقولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ .

فَيُنادِي بِصَوْتٍ : إنَّ اللَّه يَأمُرُكَ أنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إلى النَّارِ .. » متفق عليه[١] .

= فلَما كان من مُقْتَضَىٰ رَحْمته أن لا يُعَذِّب أحدًا بغير جُرْمٍ ، وكانت النَّار في غاية القَـعْـر[٢] والسِّعة ؛ حقَّق وعده تعالىٰ ، ووضع عليها قدمه ، فيتلاقىٰ طرفاها ، ولا يبقىٰ فيها فضل عن أهلها .

وأما الجنة فإنه يبقى فيها فَضْلٌ عن أَهْلها مع كَثْرة ما أعطاهم وسَعَته فينشئ لهم خَلْقًا أُخرى كما ثبت بذلك الحديث[٣].

١٣٨ ـ ففي هذا الحديث : إثبات « القول » من اللَّه ، و « النِّداء » لآدم وأنه نداءٌ حقيقة بصوت ، وهذا من فضل اللَّه لا يُشْكِل على المؤمنين ؛ فإنّ « النِّداء » و « القول » من أنواع كلامه ، وكلام اللَّه صِفة من صفاته ، والصِّفةُ تتبع المَوْصُوف . **وفيه** : أن « القَول » و « النِّداء » يكون في يوم القيامة .

وهذا من أَدِلَّة الأفعال الاختيارية .

وكم لهذه المسألة من بَرَاهين من الكِتَاب والسُّنة .

(١) البخارى (٦٥٢٩) ومسلم (٣٢٢) (٣٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .

(٢) القعر : أي العُمق ، وقَعْرُ كل شيء أقصاه . لسان العرب : قعر .

(٣) يشير إلى حديث أنس في الصحيحين الذي تقدم تخريجه ص (٦١) فقد جاء في آخره : « ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقًا مما يشاء » .

١٣٩ـ وقوله ﷺ : « مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ؛ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ »[1] .

١٣٩ـ وهذا أيضًا : فيه إثباتٌ لتكليمه لجميع العباد بلا واسطة .

وتكليمه لعباده نوعان :

* **نوع بِلا وَاسِطة** : كما في هذا الحديث . وتكليمه لأهل الجنة تكليم محبة ورضوان وإحسان وأما ما في هذا الحديث فإنه تكليم مُحاسبة يكون مع البَرِّ والفاجر . وأما قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧٧] فالمنفيُّ كلامٌ خاص ، وهو الكلام الذي يَسُرُّ المُتَكَلِّم .

* **ونوع بواسطة** : وهو كلامه تعالى لِرُسُله من الملائكة بأمره ونواهيه وأخباره لأنبيائه ورُسله من البَشَر .

(١) البخارى (٦٥٣٩) ، ومسلم (١٠١٦) (٦٧) من حديث عدى بن حاتم رضي اللّه عنه .

(٢) **فائدة** : تكليم الله للبشر يقع على ثلاث مراتب كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١] :

الأولى : **الوحي المجرد** ؛ ودليله قوله تعالى : ﴿ إلا وحيًا ﴾ وهذا غير الوحي العام الذي يشمل جميع أنواع التكليم ، وإنما هو نوع منه ، وفُسِّر بالإعلام السريع الخفي ويقع للأنبياء منامًا .

الثاني : **التكليم الخاص من وراء حجاب بلا واسطة** ؛ والدليل عليه قوله ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ وهذا تكليم مباشر من الله تعالى بكلام يُسْمِعُهُ من شاء من رسله من وراء حجاب ، وهذه المرتبة أعلى مراتب التكليم وأفضلها ، وقد وقع هذا النوع لثلاثة من الأنبياء عليهم السلام : آدم وموسى ومحمد .

الثالثة : **التكليم بواسطة الرسول** ؛ والدليل عليه قوله : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ والرسول جبريل عليه السلام ، وربما كان غيره إلا أن ذلك قليل ، وهذا في الرسل من الملائكة ، أما الرسل من البشر فإن الله تعالى يكلم أممهم بواسطتهم ، كما يكلمهم بواسطة الرسول الملكي . راجع كتاب : « العقيدة السلفية في كلام رب البرية » لعبد الله بن يوسف الجديع (٩٧ ـ ١٠٧) .

٧- في إثبات العلو للَّه وصفات أخرى

١٤٠ـ وقوله ﷺ في رُقْيَةِ المـريض : « رَبّنا اللَّه الـذي في السَّماءِ ! تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أمْرُكَ في السَّماءِ والأرض ؛ كَما رَحْمَتُكَ في السَّماءِ ؛ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ / في الأرضِ ، اغْفِرْ لَنا حُوبَنا وخَطايانا أنتَ رَبُّ الطِّيبينَ ، أنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفاءً مِنْ شِفائِكَ على هذا الوَجعِ » رواه « أبو داود »[1] .

/ 21 /

٨- في إثبات العلو أيضًا

١٤١ـ وقوله ﷺ : « أَلا تَأْمَنوني وأَنا أَمينُ مَنْ في السَّماءِ » رواه « البخاري » وغيره[2] .

٩- في إثبات العلو أيضًا

١٤٢ـ وقوله ﷺ : « وَالعَرْشُ فَوْقَ ذلك ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ » رواه « أبو داود » و « التِّرمذي » وغيرهما[3] .

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢) والنسائى في « عمل اليوم والليلة » (١٠٣٧) والحاكم (١ / ٣٤٤) والبيهقى في « الأسماء والصفات » ص (٤٢٣) من حديث أبى الدرداء .
وإسناده ضعيف جدًا ؛ فيه زياد بن محمد الأنصارى ، متروك كما في « التقريب » ، وذكر الذهبي في « الميزان » (٢ / ٩٨) أنه انفرد بهذا الحديث ، وعقَّب على تصحيح الحاكم لهذا الحديث بقوله : زيادة قال فيه البخارى وغيره : مُنْكَر الحديث .
وله إسناد آخر رواه أحمد (٦ / ٢٠ ، ٢١) وفيه : جهاله وضعف .

(٢) جزء من حديث أبى سعيد الخدرى الطويل الذى أخرجه البخاري (٣٤٥١) ومسلم (١٠٦٤) (١٤٤)

(٣) جزء من حديث الأوعال الذى رواه أبو داود (٤٧٢٣) وغيره ، **وهو حديث ضعيف في سنده أكثر من عِلة مع ما في متنه من نكارة** . وراجع : تعليقنا على الحديث في تخريجنا لكتا « القواعد المثلى » لابن عثيمين ص (٦٢ ، ٦٣) وكذا : « فتيا وجوابها لابن العطار » بتحقيق الأخ الفاضل عبد اللَّه بن يوسف الجديع ص (٧٢) .

١٠- في إثبات العلو أيضًا

١٤٣ــ وقوله عليه السَّلام للجَارِية : « أيْنَ اللَّهُ ؟ » .

قَالت : فِي السَّمَاءِ . قَالَ : « مَنْ أَنَا ؟ » .

قَالَت : أَنْتَ رَسُول اللَّهِ .

قَالَ : « أعْتِقْها ؛ فإنَّها مُؤْمِنَة » رواه « مسلم »[1] .

* * * *

١٤٠ : ١٤٣ - فهذه النُّصوص وغيرُها المُصَرِّحة بأنه تعالى في السماء إما أن (في) بمعنىٰ (علىٰ) كما قالهُ كثير من أهل العلم واللُّغة .

و (في) تكون بمعنىٰ (علي) في مواضع كثيرة مثل قوله : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] أي : عليها .

وقال طائفة من أهل العلم : إنَّ معنىٰ ﴿ في السَّمَاء ﴾ أي : في جهة العُلُوّ .

وعلى الوجهين : فهي نصٌّ في عُلُوِّ اللَّه على خَلْقِه .

وفي « حديث الرُّقية » المذكور تَوَسُّلٌ إلى اللَّه بِالثَّناء عليه بربوبيته وأُلوهيّته وتقدسيه وعُلُوِّه وعُموم أمره الشَّرعي وأمره القَدَري .

فإن اللَّه له الأمر القدري الذي ينشأ عنه جميع الموجودات والحوادث والتَّداابير القدرية . وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر : ٥٠] =

(١) مسلم (٥٣٧) (٣٢) من حديث معاوية بن الحكم السُّلمى رضي الله عنه .

. . . .

= وله الأمر الشَّرعي المُتَضَمِّن للشَّرائع التي شرعها لعباده على أَلْسنة رُسُله فتوسل إلى اللَّه بذلك .

ـ ثم تَوَسَّل إليه برحمته التي شملت أَهل السَّموات كلهم أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا وَافِرًا منها .

ـ ثم توسل إليه بسؤال مغفرة الحوْب ؛ وهو الذنب العظيم والخطايا وما دونها .

ـ ثم بربوبيّته الخاصة للطيبين ـ وهم الأنبياء وأتباعهم التي من آثار ربوبيته إياه أَنْ غَمَرَهُم بِنِعم الدِّين والدنيا الظاهرة والباطنة .

فهذه الوسائل المتنوعة لا يكاد يُرَدُّ دُعَاءُ من تَوَسَّل بها ، فلهذا دعا اللَّه بعدها بالشِّفاء الذي هو شفاء الله الذي لا يَدَع مَرَضًا إلا أَزَالَه ولا فيه تعلق بغير اللَّه فأفضل المِنَن مِنَنُ المولىٰ التي لا سَعْيَ لمخلوق فيها .

وفي شهادة الرسول بالإيمان للجارية التي اعترفت بِعُلُوِّ اللَّه ورسالة رسوله : أن من أعظم أوصاف الباري الاعتراف بِعُلُوِّه على خلقه ومُبَاينته لهم .

ـ وأنه على العرش استوىٰ ، وأن هذا أصْل الإيمان .

ـ وأن من أنكر عُلُو اللَّه المُطْلق من كل وَجْه فقد حُرِمَ هذا الإيمان .

و قوله : « والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه » .

فيه الجمع بين الإيمان بِعُلوه على عَرْشه وفوق مخلوقاته وبإحاطة علمه بالموجودات كلِّها . وقد جَمَع اللَّه بين الأَمْرين في عِدّة مَوَاضِع من كتابه .

١١- في إثبات المعية

١٤٤ـ وقوله ﷺ : « أَفْضَلُ الإيمَان : أن تَعْلَمَ أنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » حَدِيثٌ حَسَنٌ[١] .

١٢- في إثبات كون اللَّه قبل وجه المصلي

١٤٥ـ وقوله : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ ٱلصَّلاة ؛ فإنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ ؛ فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ ، وَلا عَن يَمِينِهِ ، ولكِنْ عَنْ يَسارِهِ ، أو تَحْتَ قَدَمِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢] .

١٤٤ ، ١٤٥ ـ هذان الحديثان دَلّا على :

أن أفضل الإيمان مقام الإحسان والمُرَاقبة ، وهو أن تعبد اللَّه كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وتعلم أن اللَّه معك لا تتكلم ولا تفعل ولا تَتَصَرّف إلا واللَّه يَرَاك ويُشَاهِدك ويعلم سرَّك وجهرك . وأن تَلْزم الأدب مع اللَّه خُصُوصًا إذا دَخَلت في الصلاة التي هي أعظم صِلَة ومُنَاجاة بين العبد وَبين رَبِّه فتخضع وتَخْشَع وتستحضر . وتَعْلم أنك واقف بين يدي اللَّه ؛ فَتُقِلّ من الحركات ولا تُسيءَ الأَدب معه بالبصاق أمامك أو عن يمينك .

فهذه المعيَّة متى حَصَل للعبد اسْتِحْضَارها في كل أحواله لاسيما في عباداته فإِنَّها أعظم عَوْن على المُراقبة التي هي أعلى مَرَاتب الإيمان ، فيجمع العبد بين الإيمان بعُلُو اللَّه واستحضار قُرْبه ، ولا منافاة بين الأمرين كما سيأتي بيان ذلك إن شاء اللَّه .

(١) **إسْنَادُهُ ضَعِيفٌ** :أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦ / ١٢٤) .
وفي إسناده : نعيم بن حماد صدوق يخطئ كثيرًا .
وقد عزاه السيوطي في « الجامع الصغير » (١ / ٤٩) للطبراني وأبو نعيم وضعفه .
وكذا ضعفه الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » (١١٠٠)

(٢) البخارى (٤٠٦) ومسلم (٥٤٧) (٥٠) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما .

١٣- في إثبات العلو وصفات أخرى

١٤٦ـ وقوله ﷺ : « اللَّهُمَّ ! رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظيم ! رَبّنا وَرَبّ كُلِّ شَيءٍ ! فالِق الحَبِّ والنَّوَىٰ ! مُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالإِنْجيلِ وَالقُرْآنِ ، أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصِيتها اللهم أنْتَ الأوَّلُ ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ ، وأنتَ الآخرُ ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ ، وأنتَ الظَّاهِرُ ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيءٌ ، وأنْتَ الباطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ ، واغْنِني مِنَ الفَـقْرِ » رواه « مسلم »[١] .

* * * *

١٤- في إثبات قرب اللَّه تعالى

١٤٧ـ وقوله ﷺ لمَّا رفع أصحابُه أصواتهم بالذِّكر : « أيُّها النَّاسُ ! ارْبَعُوا علىأنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُون أصَم وَلا غائِبًا ؛ إنَّما تَدْعون سَميعًا قريبًا ؛ إنَّ الذي تَدْعونَهُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ راحِلَتِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

* * * *

(١) مسلم (٢٧١٣) (٦١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٢) البخارى (٤٢٠٥) ، (٦٣٨٤) ومسلم (٢٧٠٤) (٤٤) من حديث أبى موسى الأشعرى رضي اللَّه عنه .

« **ارْبَعُوا عَلىأنْفُسِكُمْ** » : أي ارفقوا بأنفسكم . يقال ربع الرجل يربع : إذل وقف وتحبس ، ومنه قولهم : اربع على ضلعك ، أي ارفق بنفسك . « المفهم » للقرطبي (٧ / ٢٥) .

١٥- إثبات رؤية المؤمنين لربهم

١٤٨ــ وقوله ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ؛ كَما تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لا تُضامُّونَ في رُؤْيَتِهِ ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أن لا تُغْلَبُوا على صَلاةٍ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ ، وَصَلاةٍ قَبْلَ غُروبِها ؛ فَافْعَلوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

* * * *

/ 24 /

١٤٨- وقد تَوَاتَرت النُّصوص في رُؤية اللَّه لأهل الجنة ، / وأنَّهم يَرَون ربهم ويتمتعون بمشاهدته .

وهي تدلُّ على أمرين :

١ـ على عُلُوِّه على خلْقه ؛ لأنها صريحة بأنهم يرونه من فوقهم .

٢ـ وعلى أن أعظم النَّعيم نعيم النَّظر إلى وَجْهِه الكريم .

وحثُّه ﷺ في هذا الحديث عَلَىٰ صلاة العصر وصلاة الفجر خُصُوصًا ؛ فيه إشارة على أن من حَافَظ عليهما نال هذا النَّعيم الكامل الذي يَضْمَحِلّ عنده كل نعيم . وهذا يدل على تأكُّدهما .

كما دلَّ على ذلك الحديث الآخر : « يَتَعَاقَبُون فِيكم مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيل وَمَلَائِكة بالنَّهار ، ويَجْتَمِعُون في صَلاة الصُّبح وصَلاة العَصْر .. » الحديثَ . متفق عليه[٢] .

---

(١) البخارى (٥٥٤) ، (٧٤٣٤) ومسلم (٦٣٣) (٢١١) من حديث جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه .

(٢) رواه البخارى (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢) (٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

١٤٩ــ إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخْبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه ؛ بما يُخْبر به .

١٥٠ــ فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِية أَهْل السُّـنَّةِ وَالجَمَاعَة يُؤْمِنُون بِذَلِك .

كَمَا يُؤمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ ٱللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ ، مِن غَيْرِ : تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِن غَيْرِ : تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ

* * * *

[الفصل الرابع

وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة]

١٥١ـ بَلْ هُمُ الوَسَطُ في فِرَقِ الأمَّةِ ؛ كَما أنَّ الأمَّةَ هِيَ الوَسَطُ في الأُمَمِ .

١٥١ـ والمراد بـ « **الوَسَط** » : العَدْل الخِيار الذين جمعوا كل حق في أقوال الخَلْقِ وردُّوا ما فيها من الباطل . قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فهذه الأمة وَسَطٌ بين الأُمَم التي تميل إلى الغُلوّ الضار ، والأمم التي تميل إلى التَّفريط المهلك .

فمن الأُمَم : من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صِفات الخالق ومن حقوقه ما جعل

ومنهم : من جَفَا الأنبياء وأتباعهم حتى قَتَلَهم وَرَدَّ دعوتهم .

وهذه الأُمَّة آمنت بكل رَسُول أرسله اللَّه واعتقدت رسالتهم ومقاماتِهم الرفيعة التي فضَّلهم اللَّه بها ولم يغلوا في أَحَدٍ من المخلوقين .

ومن الأُمم : من أَحَلَّت كل طَيِّب وخَبيث .

ومنهم : من حَرَّم الطَّيِّبات غُلُوًّا ومُجَاوزة .

وهذه الأُمَّة أَحَلَّ اللَّه لهم الطَّيبات ، وحرَّم عليهم الخبائث ونحو ذلك من الأُمور التي منَّ اللَّه على هذه الأمة الكاملة بالتوسط فيها .

وكذلك « أهل السنة والجماعة » متوسطون بين فِرق الأُمة المبتدعة التي انحرفت / عن الصِّراط المستقيم .

/ 25 /

الأصل الأول : باب الأسماء والصفات

١٥٢ـ فَهُمْ وَسَطٌ في : بابِ صِفاتِ اللَّهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى .
بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطيلِ « الجَهْمِيَّةِ » ، وَبين أهْلِ التَّمْثيلِ « المُشَبِّهَةِ » .

الأصل الثاني : أفعال اللَّه

١٥٣ـ وَهُمْ وَسَطٌ في : بابِ أَفْعالِ اللَّهِ تعالى .
بَيْنَ « القَدَرِيَّةِ » وَ « الجَبْرِيَّةِ » .

١٥٢ـ كما تقدم بيان ذلك وأن « **أهل السنة** » يُثبتون جميع ما ثبت في النُّصوص من صِفَات اللَّه عَلَىٰ حَقِيقتها اللائقة بعظمة البَاري .

١٥٣ـ فإن « **الجبرية** » يزعمون أن العبد مَجْبورٌ على أفعاله لا قُدرة له عليها وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار ، كل هذا غلُوٌّ منهم في إثبات القَدَر .

* و « **القدرية** » قَابَلُوهم ؛ فَنَفُوا تَعَلُّق قُدرةِ اللَّه بأفعال العباد تنزيهًا للَّه بزعمهم فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة اللَّه وإرادته .

* وكل من هاتين الطائفتين ردَّت طائفة كبيرة من نصوص الكتاب والسُّنة . وهدى اللَّه « **أهل السُّنة والجماعة** » للتَّوسط بين الطَّائفتين المُنْحَرِفَتَين فآمنوا بقضاء اللَّه وقدره وشُمُوله للأعيان والأَوْصاف والأَفْعَال التي من جُمْلَتِها أَفْعَال المُكَلَّفين وغيرهم . **وآمنوا** بأنَّه مَا شَاء اللَّه كان وَمَا لم يَشأ لم يَكُن . **وآمنوا** مع ذلك بأن اللَّه تعالى جعل للعباد قُدْرة وإرادة تَقَع بها أقوالهم وأفعالهم على حسب اختيارهم وإرادتهم . **فآمنوا** بكل نَصٍّ فيه تعميم قُدْرته ومَشِيئته لكل شيء ، وبكل نصٍّ فيه إثبات أن العباد يعملون ويفعلون كل الأفعال الكبيرة والصَّغيرة بإرادتهم وقُدْرتهم ، وعَلِمُوا أن الأمرين لا يتنافيان بل يتساعدان كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء اللَّه .

الأصل الثالث : الوعيد

١٥٤ــ وَفي : بابِ وَعيدِ اللَّهِ .

بَيْنَ « المُرجِئَةِ » ، وَبَيْنَ « الوَعيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ » وَغَيْرِهِمْ .

الأصل الرابع : أسماء الإيمان والدين

١٥٥ــ وَفي : بابِ الإيمانِ والدِّينِ .

بَيْنَ « الحَرُورِيَّةِ » وَ« المُعْتَزِلَةِ » ، وَبَيْنَ « المُرْجِئَةِ » و « الجَهْمِيَّةِ » .

١٥٤ـ وذلك أن « **المرجئة** » جعلت الإيمان فقط تَصْديق القَلْب وأخرجت عنه جميع الأعمال الباطنة والظاهرة ، وجوّزوا على اللَّه أن يُعَذِّب المُطِيعين وأن يُنَعِّم العَاصِين .

* وأما « **الوعيدية من القدرية** » فَخَلَّدوا في النَّار كل من مات مُصِرًّا على الكبائر التي دون الشِّرك ، فانحرفت كل وَاحِدة وَرَدَّت لأجل ذلك من النُّصوص ما رَدَّت .

/ 26 / * وهدى اللَّه « **أهل السُّنة والجماعة** » فتوسَّطوا وقالوا : إن الإيمان / اسم لجميع العقائد الدينية والأعمال القلبية والبدنية ، وأنه قد يبقىٰ ناقصًا إذا تجرّأ المؤمن على المعاصي بدون توبة وأن اللَّه لا يظلم من عباده أحدًا ، ولا يعذب الطائعين بغير جرم ولا ذنب وأنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولو فعل الكبائر كما تواترت بذلك النصوص في الكتاب والسنة .

١٥٥ـ وقد تقدم ذلك ، لكن الفرق بين « **الحرورية** » و « **المعتزلة** » : أن « **الحرورية** » **وهم** « **الخوارج** » يُطْلِقُون الكُفْر على العُصَاة من المؤمنين ويُخَلِّدونهم في النار . =

الأصل الخامس : في الصحابة رضي اللَّه عنهم

١٥٦ـ وَفي : أَصْحابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

بَيْنَ « الرَّوافِضِ » ، وَبين « الخَوارِجِ » .

* * * *

= وأما « **المعتزلة** » فلا يطلقون عليهم الكفر ، بل يقولون : لا مسلمون ولا كُفار ، ولكنهم يُخَلّدونهم في النار كـ « **الخوارج** » .

والنُّصوص تردُّ قولهم جميعًا .

١٥٦ـ فإن « **الرافضة** » تسبهم وتلعنهم وربما كفَّرتهم أو كفرت بعضهم .

* وأمّا « **الرافضة الغالية** » ، فإنهم مع سبِّهم لطائفة من الصحابة وللخلفاء الثلاثة فإنهم يَغْلُون في عليٍّ ويَدَّعون فيه الألوهية .

وهم الذين حرَّقهم عليُّ بن أبي طالب بالنار .

* وقابلهم « **الخوارج** » فَقَاتَلُوه ، وقاتلوا الصَّحابة ، وكفّروهم ، واستحلوا دماء الصحابة والمسلمين .

* وهدى اللَّه « **أهل السُّنَّة والجَمَاعة** » فاعترفوا بفضل أصحاب نبيهم وأنهم أَعْلَىٰ الأُمة في كل خصْلة كمال ، ومع ذلك فلم يغْلوا فيهم ، ولم يعتقدوا عِصْمتهم بل قاموا بحقوقهم وأحبُّوهم لما لهم من الحقِّ الأكبر على جميع الأُمة كما سيأتي ذلك إن شاء الله .

[الفصل الخامس

يدخل في الإيمان بالله : أنه سبحانه فوق سماواتِه ، علي على عرشه]

* **وَقَدْ دَخَلَ فِيما ذَكَرْناهُ مِنَ الإيمانِ بِاللَّهِ :**

١٥٧ـ الإيمانُ بما أخْبَرَ اللَّهُ بِهِ في كِتابِهِ ، وَتَواتَرَ عَنْ رَسولِهِ وَأجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأمَّةِ :

فصل

١٥٧ : ١٦٢ ـ صرَّح المُصَنِّف رحمه اللَّه في هذا الفَصْل بمَسْأَلة العُلو للَّه واسْتِوائه على عَرْشِه ، وأن ذلك دَاخِلٌ في الإيمان باللَّه ، وذلك لما حصل في هذه المسألة من القلقل والمُخَاصَمات الطَّويلة بين « أهل السُّنة والجَمَاعة » وبين طوائف « الجهمية » و « المعتزلة » ، ومن تَبِعَهم في هذه المسألة من « الأشعرية » ونحوهم .

فإن مسألة العُلُوِّ صُنِّفت فيها المُصنفات المستقلة ، وأورد فيها « أهل السُّنة » من نصُوص الكتاب والسُّنة ما لا يمكن دفعه أو دفع بعضه ، وحقّقوا ذلك أيضًا بالعقل الصَّحيح وأن الفِطَرَ والعُقول مُعْترفة بل ومضطرة إلى الإيمان بعلو اللَّه ، إلَّا من غَيَّرت فطرته العقائد الباطلة . وقد بيَّن المُصَنِّف في هذا الموضوع الجمع بين الإيمان بِعُلو اللَّه وإثبات مَعِيَّـته وعِلْمُه المحيط ، وحَقَّقه بكلام واضح مبين بالأمثلة المُقَرِّبة للمعاني بما لا مزيد عليه / .

ـ مِنْ أَنَّه سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَىٰ عرشِهِ ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ.

ـ وَهُوَ سُبْحانَهُ مَعَهُمْ أيْنَما كانُوا ؛ يَعْلَمُ ما هُمْ عاملونَ .

١٥٨ـ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

١٥٩ـ وَلَيْسَ مَعْنى قَوْلِهِ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ .

ـ فإِنَّ هذا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ .

ـ وَهُوَ خِلافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ .

ـ وَخِلافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ .

١٦٠ـ بَلِ « القَمَرُ » آيَةٌ مِنْ آياتِ اللَّهِ ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلوقاتِهِ ، هُوَ مَوْضوعٌ فِي السَّماءِ ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ ، وغَير المُسَافِرِ أيْنَمَا كَانَ .

١٦١ـ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْق العَرْشِ ، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِه ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِم مُطَّلِعٌ إِلَيْهم ؛ إلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَعَانِي رُبُوبِيَّتِه .

١٦٢ـ وَكُلُّ هَذَا الكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ ؛ مِنْ : أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ ، وَأَنَّهُ مَعَنا ؛ حَقٌّ على حَقِيقَتِهِ ، لا يَحْتاجُ إلى تَحْرِيفٍ ، وَلَكِن يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَة .

[الفصل السادس

يدخل في الإيمان بالله : أنَّه قريب من خلقه]

5 **وقد دخل في ذلك :**

١٦٣ـ الإيمانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِن خَلْقِهِ .

١٦٤ـ كَمَا قَالَ سُبحانَهُ وتَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

١٦٥ـ وَقَالَ النَّبِيّ ﷺ : « إنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ ، أقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ »[١] .

فصل

١٦٣ : ١٦٦ ـ خَصَّ المُصَنِّف هذين الأمرين ، وذلك لِشِدّة الحاجة إلى الإيمان بقربه وإجابته ليكون العبد مُراقبًا للَّه إذا آمن بقربه إيمانًا تامًا ، كثيرًا للهج بذكره ودعائه مُنِيبًا إليه على الدَّوام إذا آمن بإجابته للسَّائلين وإثابته للمُطِيعين .

ثم ذكر رحمه اللَّه الجَمْع بين الإيمان بِعُلو اللَّه وقُربه وَمعِيّته لئلا يظن الظَّان أن ذلك مثل صِفَات المخلوقين.

وأنه إذا قيل : إنه العَلِيُّ فوق خلقه كيف يكون معهم وقريبًا منهم ؟ =

(١) جزء من حديث صحيح تقدم تخريجه ص (٦٨) .

١٦٦ـ وَمَا ذُكِرَ في الكِتابِ وَالسُّنَّةِ ، مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ ، لا يُنافي ما ذُكِر مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ ؛ فإنَّهُ سُبْحانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ في جَميعِ نُعوتِهِ ، وَهُوَ عَلِيٌّ في دُنُوِّه ، قَريبٌ في عُلُوِّهِ .

* * * *

= فأجاب بما تضمَّنه هذا الأصل الثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو : أن اللَّه تعالى ليس كمثله شيء في جميع نُعُوته .

ومن نعوته اللازمة : العُلُوُّ المطلق ، والقُرْب العام والخاصّ ، وأن القُرْب والعُلُو في حقِّه يجتمعان لعظمته وكبريائه وإحاطته من كل وجه ، فهو العليُّ في دُنُوِّه ، القَرِيبُ في عُلُوِّه .

وهذا الأَصل ينفعك في كل ما وَرَدَ عليك من صفات اللَّه الثابتة . فأثبتها ولا تتوقف ، فإن الذي أثبتها اللَّه الذي هو أعلم بنفسه ورَسُوله الَّذي هو أعلم الخلق وأورعهم وأنصحهم للخلق .

فإن خطر ببَالِك تمثيلًا أو استبعادًا فَتَفَطَّن لقوله : ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ وتذكر أيضًا : أنَّ الكلام على الصِّفات مثل الكلام على الذَّات . فكما أنه لا نَظِيرَ لَهُ ولا مَثِيل له في ذلك ، فكذلك في صِفاته .

[الباب الثاني

من الإيمان بالله وكتبه ورسله

* ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : الإيمان بأن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق

الفصل الثاني : الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة]

[الفصل الأول

الإيمان بأن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق]

* **وَمِنَ الإِيمانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ :**

١٦٧ــ الإيمانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ ، مُنَزَّلٌ ، غَيْرُ مَخْلوقٍ .

فصل

١٦٧ : ١٧٣ـ ووجه ذلك : أنه داخل في الإيمان باللَّه وبِكتبه الإيمان بكلام اللَّه عَلَىٰ هذا الوَصْف الذي ذكره المُصَنف : أنه من الإيمان باللَّه ؛ لأَنَّه وَصْفَه والكلام صِفَة للمتكلِّم ، فاللَّه تعالى مَوْصُوف بأنه مُتَكَلِّم إِذا شَاء بما شَاء ، وأنه لم يَزَل ولا يَزَال يتكلَّم ، وكلامه تعالىٰ لا ينفد ولا يَبيد ، ونوع الكلام أزلي أبدي ، ومفرداته لا تزال تقع شيئًا فشيئًا بحسب حكمة اللَّه تعالى .

واللَّه تعالى أضافه إلى نفسه في قوله : ﴿ كَلَامَ ٱللَّهِ ﴾ إضافة الصِّفة لموصوفها ، فدلَّ على أنه كلامه لفظه ومعناه وَوَصْفُه .

وإذا كان كذلك كان غير مخلوق ، ومن زعم أنه مخلوق من « المعتزلة » فقد أَعْظَم الفِرْية على اللَّه ، ونفى كلام اللَّه عن اللَّه وَصْفًا ، وجعله وَصْفًا للمخلوق ومن زعم أن القرآن الموجود بيننا عبارة عن كلام اللَّه أو حكاية عنه كما قاله « الكُلَّابية » و « الأشعرية » فقد قال بِنِصْف قول « المعتزلة » .

فالقرآن كلام اللَّه حيث تَصَرَّف سواء كان محفوظًا في الصُّدور أو مَتْلوًا بالألسنة أو مكتوبًا في المَصَاحف فلا يخرج بذلك عن أن يكون كلام اللَّه كما قال المُصَنِّف (**فإن الكلام إنما يُضَاف إلى من قاله مُبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا**). =

١٦٨ــ مِنْهُ بَدَأَ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ .

١٦٩ــ وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً .

/ 29 / ١٧٠ــ وَأنَّ هذا القُرآنَ الذي أَنْزَلَه عَلَىٰ نَبِـيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ / هُوَ كَلامُ اللهِ حَقيقَةً ، لا كَلامُ غَيْرِهِ .

١٧١ــ وَلا يَجوزُ إطْلاقُ القَوْلِ : بِأَنَّهُ حِكايَةٌ عَنْ كَلامِ اللَّهِ أو عِبارَةٌ عَنْهُ .

١٧٢ــ بَلْ إذا قَرَأَهُ النَّاسُ أوْ كَتَبوهُ في المَصاحِفِ ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ

= وقول السلف : « **كَلَامُ اللَّه مِنْهُ بَدَأ** » أي : هو الذي تكلَّم به وظهر منه لم يبد من غيره ، وقولهم : « **إليه يَعُود** » أي : يرجعُ ، أي يوصف اللَّه به .

وقيل : إن المراد بذلك ما ورد من أن من أشراط الساعة أن يُرْفَع القرآن من الصُّدور والمصاحف ، ولكن الأوّل أوْلَىٰ .

وهذه المسألة ــ مسألة الكلام عظيمة ــ تكلَّم فيها الناس على اختلاف طرائقهم / ولكن المُصَنِّف رحمه اللَّه ذكر في هذا الفصل كلامًا في « الكلام » جامعًا نافعًا مأخوذًا من الأدلة الشرعية عقلية ونقلية . / 30 /

وأما كَوْن هذا داخلا في الإيمان بِكُتبه : فإن الإيمان بالكتب وخُصوصًا القرآن يقتضي أن يؤمن العبد بكل ألفاظها ومعانيها ، وما دلت عليه من العقائد والمعاني الجليلة ، فمن لم يؤمن بجميع ذلك فلم يتم إيمانه .

* **واعلم أن المؤمنين بالقرآن على قِسْمين** : كاملين ، وناقصين . =

ـَنْ أن يَكُونَ كَلامَ اللَّهِ حَقيقَةً ؛ فإنَّ الكَلامَ إنَّما يُضافُ حَقيقَةً إلى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا ، لا إلى مَنْ قالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا .

١٧٣ـ وَهُوَ كَلامُ اللَّهِ ؛ حُرُوفَهُ وَمَعَانِيهِ ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللَّه الحُرُوف دُونَ المَعَانِي ، وَلَا المَعَانِي دُونَ الحُروف .

* * * *

= * **أما الكامِلون** : فإنهم أقبلوا على القرآن فَتَفَهَّموا مَعَانيه ثم آمنوا بها واعتقدوها كلها وتخلَّقوا بأخلاقها ، وعملوا بما دلَّ عليه امتثالًا لأَوَامِره واجتنابًا لِنَوَاهِيه ولم يُفَرِّقوا بين نُصُوصه ، كحال أهل البِدَع الذين آمنوا ببعض دون بعض .

* **وأما الناقصون** : فهم قسمان : قِسم مبتدعون ، وقسم فاسقون ظالمون .

ـ **أما المبتدعون** : فكل من ابتدع بِدْعة تَرَك لها شيئًا من كتاب اللَّه وسُنَّة رسول اللَّه ، وهؤلاء على مَرَاتبهم في البدعة بحسب ما خَالَفُوا فيه .

ـ **وأما الفَاسِقون** : فهم الذين عرفوا أنه يجب عليهم الإيمان بالكتاب والعمل به فاعترفوا بذلك ، ولكن أعمالهم نَاقَضَت أقوالهم فَتَجَرَّؤوا على مُخَالفة الكتاب بِتَرْكِ كثير من واجباته والاقتحام على كثير مما نهى عنه من غير أن يجحدوه ، ولكن نفوسهم الأمارة بالسُّوء غلبتهم واستولت عليهم .

فنسأل اللَّه تعالى أن يجعلنا ممن آمن بكتابه إيمانًا صحيحًا حتى نكون لجميع نُصُوصه معتقدين ، ولأوامره ونواهيه خاضعين ، إنَّه جواد كريم .

[الفصل الثاني

الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة]

* **وَقَدْ دَخَلَ أيضًا فيما ذَكَرْناهُ مِنَ الإيمانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ :**

١٧٤ــ الإيمانُ بأنَّ المؤمنينَ يرونهُ يومَ القِيامةِ عَيانًا بأبصارهم .

كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ .

وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ ، وَلَا يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ .

١٧٥ــ يَرَوْنَهُ سُبْحانَهُ وَهُم فِي عَرَصاتِ القِيامَةِ .

١٧٦ــ ثُمَّ يَروْنَهُ بَعْدَ دُخولِ الجَنَّةِ كَما يَشاءُ اللَّهُ سبحانه وتَعالى .

* * * *

[الباب الثالث

الإيمان باليوم الآخر

* ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : الإيمانُ بِكُلِّ ما أخبر به النبي ﷺ مِمَّا يكون بَعْد المَوت

الفصل الثاني : القيامة الكبرى وأهوالها]

[الفصل الأول

الإيمانُ بِكُلِّ ما أخبر به النبي ﷺ مِمَّا يكون بَعْد الموَت]

5 وَمِن الإِيمَان بِاليومِ الآخِرِ :

١٧٧ـ الإيمانُ بِكُلِّ ما أخبرَ به النبيُّ ﷺ مِمَّا يكون بَعْد المَوتِ :

١٧٨ـ فيؤمنون بِـ :

١ـ فتنة القبـر

ـ « فتنة القبر » .

٢ـ عذاب القبر ونعيمه

ـ و « بعذاب القبر ونعيمه »

فصل

١٧٧ ـ وهذا ضابطٌ جامعٌ يدخلُ فيه الإيمان بالنصوص الواردة في حالة المحتضر وفي القبر والقيامة والجنة والنار ، وجميع ما احتوت عليه هذه الأمور من التفاصيل التي صُنِّفت فيها المُصنفات المُطولة والمُختصرة ، وكلها داخلة في الإيمان باليوم الآخر .

١٧٨ : ١٧٩ ـ ثم أشار المُصَنِّف إلى شيء منها فقال / : فيؤمنون بِفتنة القبر .. / 31 /

وهذا الابتلاء والامتحان قد سبقت لكل عَبْدٍ مقدماته في الدنيا ، فأمَّا من كان مؤمنًا إيمانًا صَحيحًا ثبته اللَّه ولَقَّنه الجواب الصَّحيح للملكين .

كما قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْـحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

فذكر : أن تَثْبيته لهم جزاء لهم على إيمانهم في الدُّنيا . =

١٧٩ـ فأمَّا « الفِتْنَة » : فإنَّ النَّاس يُفْتَنُون في قُبُورهم .

فيقال للرَّجُلِ : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

فـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

ـ فيقول « المؤمن » : اللَّهُ رَبِّي ، والإسلامُ دِيني ، ومُحَمَّد ﷺ نَبِيِّي .

ـ وأمَّا « المُرْتَاب » فَيَقُول : آه آه ! لا أَدْري ؛ سَمِعْتُ النَّاسَ يقولون شَيْئًا فَقُلْتُه . فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَّةٍ مِن حَدِيدٍ ، فَيَصِيح صَيْحةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيء إلَّا الإنسان ، وَلو سَمِعَها الإِنسانُ ؛ لَصُعِقَ[(١)] .

= **فالمؤمن** يُجيب الجواب الصَّحيح ، وإن كان عاميًا أو أعجميًا .

وأما الكافر والمنافق ممن كان في الدنيا غير مؤمن بما جاء به الرسول فإنه يَسْتَعجم عليه الجواب ولو كان من أعلم الناس وأفصحهم .

كما قال تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

ومن حكِمة اللَّه : أن نعيم البَرزخ وعَذَابُه لا يحسّ به الإنس والجن بمشاعرهم ؛ لأَنَّ اللَّه تعالى جعله من الغيب ولو أَظْهَرَهُ لفاتت الحكمة المطلوبة .

(١) يُشير رحمه الله إلى حديث البراء بن عازب الصحيح المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفى قبورهم والذي رواه أحمد (٤ / ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) وأبو داود (٤٧٥٣) ، وقد ساقه العلامة الألبانى سياقًا واحدًا ضامًّا إليه جميع الزوائد والفوائد التى وردت فى شيء من طرقه الثابتة وذلك فى كتابه « أحكام الجنائز » (١٥٦ : ١٥٩) .
وراجع شرحه والتعليق عليه فى كتابنا « الحياة البرزخية » ص (١٠ : ١٩)

الفصل الثاني

القيامة الكبرى وأهوالها

١٨٠ـ ثُمَّ بعد هَذِه الفِتْنة : إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلى يَوْمِ القِيامَة الكُبْرىٰ .

١- إعادة الأرواح إلى الأجساد

١٨١ـ فَتُعادُ « الأَرْواحُ إِلىٰ الأَجْسادِ » .

١٨٢ـ فَتَقومُ القِيامَةُ التي أَخْبَرَ اللَّهُ تعالى بِها في كِتابِهِ ، عَلى لِسانِ رَسولِهِ لله ، وَأَجْمَعَ عَلَيْها المُسْلِمُونَ .

٢- قيام الناس مِنْ قُبورِهِمْ

١٨٣ـ فَـ «يَقومُ النَّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ » لِرَبِّ العالَمِينَ ، حُفاةً عُرَاةً غُرْلًا.

١٨٠ : ٢١٣ ـ ذكر المُصَنِّف رحمه اللَّه هذا الكلام النَّفيس المتعلِّق باليوم الآخر المأخوذ من نُصوص الكتاب والسُّنة وهو كلام واضح جامع ، وأحال على الكتاب والسُّنة في بقية تَفَاصيل اليوم الآخر ، وقد كتب أهل الإسلام من النُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنة فيما يتعلَّق باليوم الآخر وبالجنة والنار وتفاصيل ذلك شيئًا كثيرًا ، وتصانيف طوالًا مبسوطة مستقلة . وكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر .

واعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل كما هو ثابت بالسَّمع فإن اللَّه نَبَّه العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب ، وذَكَّرَهُم ما هو مستقر في العقول الصَّحيحة من أنه لا يليق بحكمة اللَّه وحمده أن يترك الناس سُدًى ، وأن يكونوا خُلِقُوا عبثًا لا يؤمرون ، ولا يُنهون ، ولا يُثابون ولا يُعاقبون ، وأن العقول الصحيحة تُنكر ذلك أشد الإنكار . =

٣- دنو الشمس

١٨٤ـ وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ .

٤ـ العرق

١٨٥ـ وَيُلْجِمهُمُ العَرَقُ .

٥- نصب الموازين

١٨٦ـ وتُنْصَبُ المَوازينُ ، فَيُوزَنُ فيها أعْمالُ العِبادِ .

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٢] .

٦- نشر الدواوين

١٨٧ـ وَتُنْشَرُ الدَّواوينُ ، وهي صَحَائِفُ الأَعْمَالِ .

ـ فَآخِذٌ كِتابَهُ بِيَمينِهِ . ـ وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ .

ـ أَوْ من وَرَاءِ ظَهْرِهِ .

= وكذلك نَبَّهَهُم على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إثابة الطائعين وتعجيل بعض ثوابهم ، وعقوبة الطَّاغين وإذاقتهم بعض ما وُعِدُوا به . وهذا شيء مُشَاهد مَحْسُوس مُتَنَاقل بين النَّاس بالتواتر الذي لا يقبل الشَّك ، ولا يزال اللَّه يُرِي عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم ما يتبيّن به الحق لأُولي العقول والألباب .

وأما تفاصيل الجزاء وَمَقادِيرها : فلا يُدْرَك إِلَّا بالسَّمع والنُّقول الصَّحيحة عن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهَوَىٰ إن هُو إِلَّا وحي يُوحىٰ .

ومن الحكمة في مُحاسبة الخلق على أعمالهم ووَزْنها وظهُورها مكتوبة في الصُّحف مع إحاطة علم اللَّه بذلك ؛ لِيُري عباده كمال حَمْده ، وكمال عَدْله وسَعَة رحمته ، وعظمة مُلْكه ، ولهذا قيَّد مُلْكه ليوم الدين في عدَّة مواضع من كتابه مع أن مُلْكه عام مُطلق لهذه المعاني وغيرها .

١٨٨ـ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ / [الإسراء : ١٣ ـ ١٤] . / 32 /

٧ـ الحساب

١٨٩ـ وَيُحاسِبُ اللَّهُ الخَلْقَ .

١٩٠ـ وَيَخْلو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنوبِهِ كما وُصِفَ ذلك في الكتاب والسُّنَّة[١] .

١٩١ـ وَأَمَّا الكفارُ ؛ فَلَا يُحَاسَبُون مُحاسَبة مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُه وَسَيِّئَاتُه فَإِنَّهم لَا حَسَنَات لَهُم ، وَلكن تُعَدُّ أَعْمَالهم ، وتُحْصَىٰ فَيُوقَفُون عَلَيْها ، وَيُقرَّرُونَ بِها ، ويجزون بها .

* * * *

٨ـ الحوض المورود

١٩٢ـ وَفي عَرَصةِ القِيامَةِ : « الحَوْضُ المَوْرودُ لمحمدٍ ﷺ » .

١٩٣ـ مَاؤُهُ : أَشَدُّ بياضًا مِن اللَّبنِ وَأَحْلَىٰ من العَسَلِ .

١٩٤ـ آنِيَتُهُ : عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ .

١٩٥ـ طُولُهُ : شَهْرٌ ، وَعَرْضُه : شَهْرٌ .

---

(١) يُشِيرُ رحمه اللَّه إلى ما رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨) (٥٢) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال « يُدْنَى المؤمنُ يوم القيامة من ربِّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بذنوبه ، فيقول : هل تعرف ؟ فيقول : أي رب ! أعرف . قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم .. » الحديث

١٩٦ـ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً ؛ لَمْ يَظْمَأ بَعْدَهَا أَبدًا .

* * * *

٩ـ الصراط

١٩٧ـ وَ « الصِّرَاطُ » مَنْصوبٌ عَلى مَتْنِ جَهَنَّمَ .

١٩٨ـ وَهُوَ الجِسْرُ الذي بين الجنَّة والنَّار .

١٩٩ـ يَمُرُّ النَّاس عَلَيْه عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمالِهم :

ـ فَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَرِ .

ـ وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كالبرقِ .

ـ وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ .

ـ وَمِنْهُم من يَمُرُّ كالفَرَس الجوَاد .

ـ وَمِنْهُم من يَمُرُّ كَرِكَاب الإبل .

ـ وَمِنْهُم من يَعْدو عَدْوًا .

ـ وَمِنْهُم من يَمْشِي مَشْيًا .

ـ وَمِنْهُم من يَزْحف زَحْفًا .

ـ وَمِنْهُم مَن يُخْطَفُ فَيُلْقىٰ في جهَنَّم ؛ فإنَّ الجِسْر عليه كَلَاليبُ تَخْطفُ النَّاس بِأَعْمَالِهم .

٢٠٠ـ فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاط ؛ دَخَلَ الجنَّة .

٢٠١ـ فإذا عَبَرُوا عليه ؛ وُقِفوا عَلَىٰ قَنْطَرة بَيْنَ الجنَّة والنَّار ؛ فَيُقْتَص

لِبَعضهم مِن بعضٍ ، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا ؛ أُذِن لهم في دُخُول الجَنَّة .

* * * *

١٠ـ دخول الجنة

٢٠٢ـ وَأوَّل من يَسْتَفْتِح بَاب الجَنَّة : محمدٌ ﷺ .

٢٠٣ـ وَأَوَّل مَن يَدْخُل الجَنَّة من الأُمِمِ : أُمَّـتَهُ ﷺ .

* * * *

١١ـ الشفاعة وأنواعها

٢٠٤ـ وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَة ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ :

٢٠٥ـ أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَىٰ : فَيَشْفَعُ فِي أَهْل المَوْقِف ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُم بَعْد أَن يَتَرَاجَع الأَنْبِيَاءُ ـ آدَم ونُوحٌ وإِبْرَاهِيمُ ومُوسىٰ وعِيسىٰ ابن مريم ـ الشَّفاعة حتى تنتهي إليه .

٢٠٦ـ وأَمَّا الشَّفَاعة الثَّانية : فَيَشْفَعُ فِي أَهْل الجَنَّة أن يَدْخُلوا الجَنَّة

وهاتان الشَّفَاعَتَان خَاصَّتَان له .

٢٠٧ـ وأما الشَّفَاعَةُ الثَّالثة : فَيَشْفَعُ فِيمَن اسْتَحَقَّ النَّار .

وهذه الشفاعة لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّين والصِّديقين وَغَيرهم .

ـ يَشْفَعُ فيمن اسْتَحَقَّ النَّار أن لا يَدْخُلها .

ـ وَيَشْفَعُ فِيمن دَخَلَها أن يَخْرُج منها .

٢٠٨ـ وَيُخْرِجُ اللَّه تعالى من النار أقْوَامًا بغيرِ شَفَاعةٍ ، بل بِفَضْلِ رَحْمَته .

* * * *

٢٠٩ـ وَيَبْقى في الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَها مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا .

١٢- يُنْشِئُ اللَّهُ للجنة أقوامًا فيدخلهم إيَّاها

٢١٠ـ فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا ، فَيُدْخِلهم الجنَّة .

* * * *

٢١١ـ وأَصْنَافُ مَا تتَضَمَّنه الدَّارُ الآخرةُ مِن : الحِسَابِ ، وَالعِقَابِ وَالثَّوابِ ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ / .

/ 33 /

٢١٢ـ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورة فِي :

ـ الكُتُب المُنَزَّلة مِن السَّمَاءِ .

ـ والأَثَارة مِن العِلْمِ ؛ المَأْثُورة عَن الأَنبياءِ .

٢١٣ـ وفي العِلْم المَوْرُوث عن النَّبِي مُحَمَّدٍ ﷺ منْ ذلكَ ؛ مَا يَشْفِي وَيَكْفي ، فَمَن ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ .

* * * *

[الباب الرابع

الإيمان بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

* ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : الدرجة الأولى من درجات الإيمان بالقدر

الفصل الثاني : الدرجة الثانية من درجات الإيمان بالقدر]

[الفصل الأول

الدرجة الأولى من درجات الإيمان بالقدر]

/ * وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ بِـ : « **القَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » . / 34 /

٢١٤ـ وَالإيمانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ .

الإيمان بالقدر على درجتين :

٢١٤ : ٢٣٨ ـ اعلم أن الإيمان بالقَدَر أَمْرُه عَظيم وشأنه مُهِمٌّ جدًا وهو أَحَد أركان الإيمان السِّتة ، وقد انحرف فيه طوائف من أهل البدع والضَّلال فضلًا عن المنكرين من المُلْحدين وغيرهم .

وقد فصَّله الشيخ في هذا الفصل بهذا الكلام الجامع النَّفيس الذي لا يُوجد له نَظير في تحقيقه وتَفْصيله وجَمْعه وتوضيحه ، وهو مجموع من نُصوص الكتاب والسُّنة ومن العقيدة السَّلفية الخالصة .

فذكر : أَنَّه لا يتم الإيمان بالقَدَر إِلَّا بتحقيق هذه الأمور الأربعة التي يفتقر كل منها إلى البقية ، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المُنْحرفة .

وذلك : أنه ثبتت نصوص الكتاب والسُّنة بإحاطة علم اللَّه بجميع الموجودات السَّابقة ، والحاضرة ، والمستقبلة من أعيان ، وأَوْصَاف ، وأَفْعَال للمكلفين وغيرهم .

وثبتت النصوص أيضًا : أن اللَّه أثبت علمه بالكائنات والموجودات دقيقها وجليلها باللَّوح المحفوظ في نُصُوص لا يمكن إحصاؤها .

. . . .

وثبتت النُّصوص أيضًا : أن مشيئة اللَّه عامة وإرادته القَدَرية شاملة لا يخرج عنها حادث صَغير ولا كَبير ولا عَين ولا فِعْل ولا وَصْف ، وأنه ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن .

والنصوص على شُمُول قُدْرة اللَّه ومشيئته لكل حَادِث لا تُحْصَىٰ .

وثبتت النصوص أيضًا : أن العباد مختارون غير مجبورين على أفعالهم وأن أعمالهم خيرها وشرها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم / التي خلقها اللَّه لهم . / 36 /

وخالق السبب التام خالق للمُسَبَّب .

وبهذا يَنْحَل عن العبد الإشكال وَيتَّسِع قَلْبُه للجمع بين إثبات عموم مشيئه اللَّه وقُدْرته وشُمُولها لأفعال العِباد مع وقُوعها شَرْعًا وحِسًّا وعَقلًا باختيارهم .

فمتى جمع العبد هذه المراتب الأَرْبع ، وآمن بها إيمانًا صَحِيحًا كان هو المؤمن بالقَدَر حقًّا ، الذي يعلم أن اللَّه بكل شيء عليم ، وعلمه بالحوادث قد أودعه في اللَّوح المحفوظ ، والحوادث كلها تجري على ما علمه اللَّه وكتبه وتَقَع بأَسْباب رَبَطَها العزيز الحكيم بمسبباتها .

والأسباب والمُسَبِّبات من قضاء اللَّه وقدره ، ولهذا لما قال النبي ﷺ لأصحابه : « مَا مِنْكُم مِن أَحَدٍ إلَّا وَقَد كُتِبَ مَقْعَدُه من الجنة أو النار » . فقالوا : يَا رَسُول اللَّه أَفَلا نَتَّكل عَلَىٰ كِتَابِنا وَنَدَع العَمَل ؟ فقال : « اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّر لِما خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَة فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَل أَهْل السَّعَادَة ، وَأَمَّا أَهْل الشَّقَاوة فَيُيَسَّرُون لِعَمَل أَهْل الشَّقاوة » . ثم قرأ ﷺ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ =

. . . .

= وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ١٠] . متفق عليه[١] .

وتوضيح ذلك : أن العَبْد إِذَا صَلَّىٰ وَصَام وَعمِلَ الخير أَوْ عَمِل شيئًا من المعاصي كان هو الفَاعل لذلك العمل الصَّالح وذلك العمل السَّيء ، وفعله المذكور بلا رَيْب وقد وقع باختياره وهو يحس ضَرورة أَنَّه غير مجبور على الفعل أو التَّرك وأنه لو شاء لم يفعل .

وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نصَّ اللَّه عليه في كتابه ، ونَصَّ عليه رسوله ، حيث أضاف الأعمال صالحها وسَيِّهَا إلى العباد ، وأخبر أنَّهم الفاعلون لها ، وأنهم مَمدوحون عليها إن كانت صَالحة ، ومُثَابون عليها ومَذْمُومون إن كانت سَيِّئة ، ومُعَاقبون عليها / .

/ 37 /

فقد تبين بلا ريب واتَّضح أَنَّها واقعة منهم وباختيارهم ، وأنهم إن شاءوا فعلوا وإن شَاؤوا تركوا ، وأن هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًّا وشرعًا ومشاهدة .

ومع ذلك فإذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر وكيف تشملها المشيئة ؟

فيقال : بأي شيء وَقَعَت هذه الأعمال الصَّادرة من العباد خيرها وشرِّها ؟

فيُقال : فهي بِقُدْرَتِهم وإرادتهم . وهذا يَعْترف به كل أحد .

ويقال أيضًا : ومن خَلَقَ قُدْرَتهم وَمشيئتهم وإرادتهم ؟ =

---

(١) البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧) (٦) من حديث علي رضي الله عنه .

. . . .

= فالجواب الذي يعترف به كل أحد ، أن اللَّه هو الذي خَلَق قُدْرتهم وإرادتهم ، وهو الذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال .

فهذا هو الذي يحل الإشكال ، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار . ومع ذلك فهو تعالى أَمَدَّ المؤمنين بأسباب وأَلْطَاف وإِعَانَات متنوعة ، وصرف عنهم الموانع كما قال ﷺ : « وأَمّا مَن كَانَ مِن أهل السَّعادة فيُيَسَّر لِعَمَل أَهْل السَّعَادَة »[١] .

وكذلك خَذَل الفَاسِقِين وَوَكلهم إلى أنفسهم ، ولم يُعِنْهُم ؛ لأنهم لم يؤمنوا به ويَتَوَكَّلوا عليه ؛ فَوَلَّاهم ما تَولوه لأنفسهم . ولما ضاق تحقيق هذا المقام على قُلُوب كثير من الخلق ، **انحرفت هنا طائفتان من الناس** :

١ـ **طائفةٌ يُقَال لهم** : « **الجبرية** » ، غَلُوا في إثبات القَدَر ، وتَوَهَّموا أن العبد ليس له فعل حقيقة ، وأنه لا يمكن أن يُثْبِتَ للعبد عُمُوم المشيئة ، وَيُثْبِتَ للعبد اختيارًا .

٢ـ **والطَّائفة الأخرى** : « **القدرية** » ، قَابَلتهم فشهدت وقوع أفعالهم بقدرتهم واختيارهم وتوهموا أنه لا يمكن مع ذلك أن تَدْخُل في قضاء اللَّه وقدره / فلم تتسع قلوب « الجبرية » و « القدرية » للجمع بين الأمرين فرد كل منهما قسمًا كبيرًا من نصوص الكتاب والسنة المؤيدة بالعقل الصحيح . / 38 /

* وهدى اللَّه « **أهل السُّنة والجماعة** » فآمنوا بجميع الكتاب والسُّنة =

(١) جزء من حديث تقدم تخريجه ص (٩٩) .

. . . .

= وآمنوا بِقَضَائِه وَقَدَره وشمُولهما لكل موجود وبِشَرْعه وأمره وأن العباد فاعلون حقيقة مختارون . فإيمانهم بِعُموم القَدَر يُوجِب لهم الاستعانة التَّامة بربهم ؛ لعلمهم أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن له في عباده المؤمنين ألطافًا وتيسيرًا لا يُنَالُ إلا بقوة الإيمان والتوكل ، وَأَوْجَب لهم إيمانهم ـ بالشرع والأمر والنهي والأسباب وأنها مرتبطة بمسبباتها شرعًا وقدرًا ـ الجد والاجتهاد في فعل الأسباب النافعة ـ الدينية والدنيوية ـ وبذلك تعرف أن الإيمان الصَّحيح سَبَبٌ لِكُلِّ خير .

* **ومن فوائد الإيمان بالقَضَاء والقَدَر** : أنه يُوجِب للعبد سُكُون القلب وطمأنينته وَقُوّته وشجاعته ؛ لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأنه يُسَلِّي العبد عن المَصَائب ، ويُوجب له الصَّبر والتَّسليم والقناعة بما رَزَق اللَّه .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١] . قال بعض السلف : « هو الرَّجُل تُصِيبه المُصِيبة فَيَعلم أنَّها من عند اللَّه فَيَرْضَىٰ ويُسلِّم » .

* **ومن فوائده** : أنه يُوجب للعبد شهود مِنَّةِ اللَّه عليه فيما يَمُنُّ به عليه مِن فعل الخيرات وأنواع الطاعات ، لا يُعْجَبُ بنفسه ولا يُدَلُّ بِعَمَلِهِ ؛ لعلمه أن الله تعالى هو الذي تَفَضَّل عليه بالتَّوفيق والإعانة وصَرْف الموانع والعوائق ، وأنه لو وَكَّله إلى نفسه لَضَعُفَ وعَجَزَ عن العمل وعن الثبات عليه .

* كما أنه سببٌ لِشُكر نِعمِ اللَّه فما يُنْعِمُ عليه من نعم الدين والدنيا ، فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من اللَّه ، وأن اللَّه هو الدَّافع لكل مَكْروه ونِقْمة / .

/ 39 /

الدرجة الأولى : العلم والكتابة

٢١٥ـ **فالدَّرَجَة الأُولىٰ** : الإيمان بـ :

(١) أَنَّ اللَّه تَعَالىٰ عَلِمَ مَا الخَلْقُ عَامِلُون بِعِلْمِه القَدِيمِ الَّذِي هُو مَوْصُوفٌ بِه أزلًا وأبدًا . وعَلِمَ : جَميعَ أحْوالِهِم ، مِنَ الطَّاعاتِ وَالمَعَاصي وَالأَرْزاقِ وَالآجالِ .

(٢) ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ تعالى في اللَّوْحِ المَحْفوظِ مَقاديرَ الخَلائقِ .

٢١٦ـ فَأَوَّل مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَم ؛ قال له : اكْتُب ! قال : ما أَكْتُب ؟ قال : اكْتُب مَا هُو كَائِنٌ إلى يَوم القِيامة [١] .

٢١٧ـ فَما أصابَ الإنْسان لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَما أخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَهُ ، جَفَّتِ الأَقْلامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ .

٢١٨ـ كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٠] .

٢١٩ـ وقال : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] .

٢٢٠ـ وَهَذا التَّقْديرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحانَهُ يَكونُ في مَواضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصيلًا .

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٣١٧) ، وأبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) (٣٣١٩) . وقال : « حديث حسن غريب » ، **وهو حديث صحيح** ، وقد صحَّحه الألباني لطرقه وشواهده في تخريج « السنة » لابن أبي عاصم (١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥) .

٢٢١ـ فَقَدْ كَتَبَ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ ما شاءَ .

٢٢٢ـ فإذا خَلَقَ جَسَدَ الجَنينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فيه ؛ بَعَثَ إليهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ ، فَيُقالُ : اكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أو سَعيدٌ ، وَنَحْوَ ذَلكَ .

٢٢٣ـ فهذا القدر قَد كَانَ يُنْكِرُه غُلَاةُ « القَدَرِيَّة » قَدِيمًا ، وَمُنْكِرُوه اليَوم قَلِيل .

* * * *

[الفصل الثاني

الدرجة الثانية من درجات الإيمان بالقدر]

الدرجة الثانية : المشيئة والخلق

٢٢٤ـ **وَأمّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ : فَهِيَ :**

ـ مَشيئَةُ اللَّهِ تعالى النَّافِذَةُ ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ .

٢٢٥ـ وَهُوَ الإيمانُ بِأنَّ ما شاءَ اللَّهُ كانَ ، وَما لَمْ يَشَأ لَمْ يَكُنْ .

٢٢٦ـ وَأنَّهُ ما في السَّماواتِ والأرض ، مِن حَرَكَةٍ وَلا سُكونٍ إلَّا بِمَشيئَةِ اللَّهِ سُبْحانَهُ ، لا يَكونُ في مُلْكِهِ إلَّا ما يُريدُ .

٢٢٧ـ وَأنَّهُ سُبْحانَهُ وتعالى على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ مِنَ المَوْجوداتِ وَالمَعْدوماتِ .

٢٢٨ـ فَما مِنْ مَخْلوقٍ في الأرْضِ وَلا في السَّماءِ إلَّا اللَّهُ خالِقُهُ سُبْحانَهُ لا خالِقَ غَيْرُهُ ، وَلا رَبَّ سِواهُ .

لا تعارض بين القدر والشرع ولا بين تقدير الله للمعاصي وبغضه لها

٢٢٩ـ وَقد أَمَرَ العباد بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُله ، ونَهَاهم عن معصيته .

٢٣٠ـ وَهُوَ سُبْحانَهُ يُحِبُّ المُتَّقِينَ وَالمُحْسِنينَ وَالمُقْسِطِينَ .

٢٣١ـ وَيَرْضَىٰ عن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ ، وَلا يُحِبُّ الكافرِينَ ، وَلا يَرْضَىٰ عَن القَومِ الفَاسِقِينَ ، وَلَا يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ .

٢٣٢ـ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الكُفْرَ ، ولا يُحبُّ الفَسَادَ .

إثبات القدر لاينافي إسناد أفعال العباد إليهم حقيقة وأنهم يفعلونها باختيارهم

٢٣٣ـ وَالعِبادُ فاعِلونَ حَقيقَةً ، وَاللَّهُ خالق أفْعالِهِم .

٢٣٤ـ وَالعَبْدُ هُوَ : المُؤْمِنُ وَالكافِرُ ، وَالبَرُّ وَالفاجِرُ ، وَالمُصَلّي وَالصّائِمُ .

٢٣٥ـ وَلِلعِبادِ قُدْرَةٌ عَلى أعْمالِهِم ، وإرادَةٌ ، وَاللَّهُ خالِقُهُمْ وَخالِقُ قُدْرَتِهِم وَإرادَتِهِم .

٢٣٦ـ كَمَا قَالَ تَعَالى : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٨ ـ ٢٩] .

٢٣٧ـ وَهذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ ، يُكذِّب بها عامة « القَدَرِيَّة » ، الذين سمَّاهمُ النَّبيُّ ﷺ : « مَجُوس هذه الأمة »[1] .

٢٣٨ـ وَيَغْلو فيها قَوْمٌ مِنْ أهْلِ الإثْباتِ ، حتَّى يسْلُبوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيارَهُ وَيُخْرِجونَ عَن أفْعالِ اللَّه وَأحْكامِهِ ؛ حِكَمَها وَمَصالِحَها .

* * * *

(١) **حَدِيثٌ حَسَنٌ** : رواه أَبُو داود (٤٦٩١) ، والحاكم (١ / ٨٥) من طريق أبي حازم سلمة بن دينار عن ابن عمر ، وهو منقطع لأن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر .
ولكنَّ الحديث له شواهد تُرَقِّيه لمرتبة الحسن ؛ ولذا حسَّنه الألباني في تخريج « شرح الطحاوية » لابن أبي العز (٢٨٤) وفي تخريج « كتاب السنة » لابن أبي عاص (٢٣٨ ، ٣٢٩) .
وراجع : « مختصر سنن أبى داود » للمنذري (٧ / ٦١) .

[الباب الخامس

من أصولِ الفرقة النَّاجية أهل السنة والجماعة

* ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإيمانُ والدينُ قولٌ وعملٌ

الفصل الثاني : خلاصة مذهب أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ

الفصل الثالث : التصديق بكرامات الأولياء]

[الفصل الأول

الدين والإيمان قول وعمل]

* **وَمِنْ أُصولِ الفرقةِ النَّاجيةِ :**

٢٣٩ـ أن الدِّينَ وَالإيمانَ : قَوْلٌ ، وَعَمَلُ .

ـ قَوْلُ : القَلْبِ ، وَاللِّسانِ .

ـ وعَمَلُ : القَلْبِ ، وَاللِّسَانِ ، وَالجَوَارِحِ .

فصل

٢٣٩ـ قد دلَّ الكتاب والسُّنة على ما قاله الشَّيخ ، وأَجْمَعَ على ذلك سلف الأمة ، فكم من آية قُرآنية وأحاديث نبوية أَطْلَقَت على كثير من الأقوال والأعمال [اسم] الإيمان .

فالإيمان المُطلق يدخل فيه : جميع الدِّين ، ظاهره وباطنه ، أُصُوله وفرُوعه .

يدخل فيه : العقائد التي يجب اعتقادها من كل ما احتوت عليه من هذا الكتاب .

ويدخل فيه : أَعْمال القلوب كالحب للَّه ورسوله وإرادة اللَّه والإنابة إليه .

والفرق بين أقوال القلب وبين أعماله : أن أقواله هي العقائد التي يَعْترف بها القلب ويعتقدها ، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها اللَّه ورسوله .

وضابطها : محبَّة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشَّر ، والعَزْم على تَرْكه للَّه وهذه الأعمال القلبية تنشأ عنها أعمال الجوارح . =

٢٤٠ـ وَأنَّ الإيمانَ : يَزيدُ بِالطَّاعَةِ ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ .

= فالصلاة ، والزكاة ، والصَّوم ، والحج ، والجهاد من الإيمان .

وبرّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، والقيام بحقوق اللَّه ، وحقوق خلقه المتنوعة كلها من الإيمان .

وكذلك الأقوال : فَقِراءة القرآن ، وذكر اللَّه والثناء عليه ، والدَّعوة إلى اللَّه ، والنصيحة لعباد اللَّه ، وتعلم العلوم النافعة كلها داخلة في الإيمان .

٢٤٠ـ ولهذا لما كان الإيمان اسمًا لهذه الأمور ترتب عليه أنه يزيد وينقص كما هو صَرِيح الأدلة من الكتاب والسُّنَّة ، وكما هو ظاهر مُشَاهَد تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وجوارحهم .

/ 40 /

* **ومن زيادته ونَقْصِه** / : أن اللَّه قسَّم المؤمنين إلى ثلاث طبقات :

سابقون بالخيرات : وهم الذين أَدُّوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات . فهؤلاء المقربون .

ومقتصدون : وهم الذين أَدُّوا الواجبات وتركوا المحرمات .

وظالمون لِأَنْفُسهم : وهم الذين تجرؤوا على بعض المحرمات وقَصَّروا ببعض الواجبات مع بقاء أَصْل الإيمان معهم .

فهذا من أكبر البراهين على زيادة الإيمان ونَقْصِه .

فما أعظم التفاوت بين هؤلاء الطَّبقات .

* **ومن وُجوه زيادته ونقصه** : أن المؤمنين مُتَفَاوتون في علوم الإيمان : =

أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر

٢٤١ـ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ ، لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصي وَالكَبائِرِ كما تفعلُه « الخوارجُ » ، بل الأخوَّةُ الإيمانيةُ ثابتةٌ مَعَ المَعَاصِي .

٢٤٢ـ كَمَا قالَ سُبْحانَهُ وتعالى في آيَةِ القِصاصِ : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

٢٤٣ـ وقال سبحانه : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ٩ ـ ١٠] .

= **فمنهم** من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خَيْرٌ كثير ، فازداد به إيمانه وتمَّ به يَقِينُه .

ـ **ومنهم** ما هو دون ذلك ودون ذلك ، حتى تصل الحال إلى أن من المؤمنين من معه إيمان إجمالي لم يتيسر له من التفاصيل شيء وهو مع ذلك مؤمن !

ومعلوم الفرق بين هذه المراتب .

* **ومن وُجُوه زيادة الإيمان ونقصه** : أن المؤمنين مُتَفاوتون تَفَاوتًا كثيرًا في أعمال القلب والجوارح وكثرة الطاعات وقِلَّتِها ، وهذا شيء مَحْسُوس .

* **ومن وُجُوه زيادته ونَقْصه** : أن من المؤمنين من لم تجرح المعاصي إيمانه وإن وقع منه شيء من ذلك بادر إلى التَّوبة والإنابة ، ومنهم من هو متجرئ على كثير من المعاصي ومعلوم الفرق بينهما . =

٢٤٤ـ وَلَا يَسْلِبُون الفَاسِقَ المِلِّيَّ اسْمَ الإيمانِ بِالكُلِّيَّةِ ، وَلَا يُخَلِّدونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُه « المُعْتَزِلَةُ » ، بلِ الفَاسِقُ يَدْخلُ فِي اسْمِ الإيمانِ .

٢٤٥ـ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] .

---

* **ومن وُجوه زيادته ونَقْصه** : أن من المؤمنين من هو وَاجِدٌ لحلاوة الإيمان وقد ذَاقَ طعمه واستحلى الطَّاعات واستنار قلبه بالإيمان ، ومنهم من لم يَصِل إلى ذلك .

٢٤٤ـ ولهذا قال المُصَنِّف رحمه اللَّه : (**وَلَا يَسْلِبُون الفَاسِقَ المِلِّيَّ اسْمَ الإيمانِ بِالكُلِّيَّةِ ، وَلَا يُخَلِّدونَهُ في النَّارِ .. إلخ**) .

وهذا تحقيق مذهب السلف الذي باينوا فيه « **الخوارج** » المارقين الذين يَسْلبون العُصَاة اسم الإيمان ويخلدونهم .

وَباينوا فيه « **المعتزلة** » الذين وافقوا « الخوارج » في المعنى وخالفوهم في اللفظ .

وأما الكتاب والسُّنة ؛ فإنهما دَلّا من وجوه كثيرة على :

أن العبد يكون فيه خير وشر وإيمان وخِصَال كفر ، أو نفاق لا تخرجه عن الإيمان بالكلية . وأن الإيمان المطلق إنما يتناول الإيمان الممدوح الكامل في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال : ٢ ، ٣] ونحو ذلك من النصوص . =

٢٤٦ـ وقد لا يدخلُ في اسْمِ الإيمانِ المُطْلَقِ .

٢٤٧ـ كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] .

٢٤٨ـ وقولِ النبيِّ ﷺ : « لا يَزْنِي الزَّاني حين يَزْني ، وهو مُؤْمن وَلَا يَسْرقُ حِينَ يَسْرق وهُوَ مُؤْمِنٌ ، ولا يَشْرب الخَمر حين يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهِب نهبةً ذَاتَ شَرَفٍ يرفعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيها أبصارَهم حينَ ينتهبُها وهو مُؤْمن »[1] .

= وأما مُطْلق الإيمان الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص فإنه ثبت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على إطلاقه على العُصَاة من المؤمنين ، وأجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها .

قال تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] .

ومن المعلوم دُخول أي مؤمن كان .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٠] فسمَّاهم إخوة بعد وُجُود الاقتتال .

ويقال أيضًا في توضيح ذلك : أن الإيمان الممدوح الذي يُؤتىٰ به في سياق الثناء على أهله إنما يتناول الإيمان الكامل ، والإيمان الذي يقال لصاحبه : إنه من المؤمنين يدخل فيه هذا وهذا . =

(١) البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) (١٠٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

٢٤٩ـ ويقولون : هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ ، أو مُؤْمِنٌ بإيمانه ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ ؛ فلا يُعْطى / الاسمُ المُطْلَقُ ، ولا يُسْلب مطلقُ الاسمِ .

/ 41 /

* * * *

= **ويقال أيضًا** : الإيمان الذي يمنع صاحبه من التَّجري على الزِّنا وشرب الخمر والسَّرقة ونحوها من الفواحش هو الإيمان الكَامل ، والإيمان الذي لا يمنع من ذلك هو النَّاقص . وهذا وجه الحديث الذي ذكره المُصَنِّف « لَا يَزْني الزَّاني .. » إلى أخره .

ويقال أيضًا : الإيمان الذي يمنع دُخول النَّار هو الإيمان الكامل ، والإيمان الذي يمنع من الخلود فيها يكون ناقصًا .

وقد تواترت الأحاديث بخروج مَنْ في قَلْبه أقل شيء من الإيمان في النار(١) .

ويقال أيضًا : الأحكام الأصولية والفروعية تَدُور مع عِلَلها وأسبابها ، وإذا وجد في العبد أسباب مُتَعارضة ؛ أُعْمِلَ كل سبب في مُسَبِّبه ، فالطَّاعات سَبَبٌ لدخول الجنة والثواب ، والمعاصي سَبَبٌ لدخول النار والعقاب ، فَأَعْمِلْ كُلَّ واحد في مقتضاه . ولكن لما كانت رحمة اللَّه قد سَبَقَت غَضَبه(٢) وفَضْله على العباد / قد غَمَرَهُم وتنوع عليهم من كل وجه كان أقل القليل من الإيمان له الأثر المُسْتَقِرُّ الذي يَضْمَحِل ضِدُّه من كل وجه ، وإن كان معه شيء من الإيمان فإن مَآلهُ إلى الخلود في دار النَّعيم .

/ 42 /

(١) البخاري (٦٥٦٠) ومسلم (١٨٤) (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .

(٢) البخاري (٧٤٢٢) ومسلم (٢٧٥١) (١٤) من حديث أبى هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كَتَبَ كتابًا فهو عنده عَلَى العَرشِ : إنَّ رحمتي تغلب غَضَبِي » .

[الفصل الثاني]

خلاصة مذهب أهل السُّنَّة في أصحاب رسول الله ﷺ]

فضائل الصحابة ومراتبهم وتفاضلهم وموقف أهل السنة والجماعة من ذلك

* ومن أُصُولِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ :

٢٥٠ـ سَلاَمَةُ قُلُوبِهِم وَأَلْسِنَتِهِم لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

٢٥١ـ كما وصفهمُ اللَّهُ به في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

فصل

٢٥١ـ وهذا الدُّعاء الصَّادر ممن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسان يَدُلُّ على كمال مَحَبَّتهم لِأَصْحَاب رَسُول اللَّه وثنائهم عليهم ؛ لأنَّ من دعا في أمرٍ من الأمور فهو سَاعٍ في تحقيقه ، مجْتَهد في تكميله ، مُتَضَرِّع لِرَبِّه أن يتم ذلك له وأولىٰ من دخل في هذا الدُّعاء الصَّحابة الذين سبقوا إلى الإيمان وحَقَّقُوه وَحَصل لهم من براهينه وطُرُقه ما لم يَحْصُل لغيرهم .

ونفي الغِلّ من جميع الوُجوه يقتضي تمام المحبة لهم فهم يُحِبُّون الصحابة ؛ لِفَضْلهم وَسبْقهم واخْتِصَاصهم بالرَّسول ﷺ ، ولإحسانهم إلى جميع الأمة ؛ لأنهم هم المُبَلِّغون لهم جميع ما جاء به نبيهم ، فما وَصَلَ لأحد علم ولا خير إلا على أيديهم وبواسطتهم .

٢٥٢ـ وَطَاعةً للنَّبي ﷺ في قوله : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُم أَنْفَقَ مِثْل أُحُد ذَهَبًا ؛ مَا بَلَغ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيفهُ »[1] .

٢٥٣ـ ويَقبلونَ مَا جَاءَ به الكتابُ أو السُّنةُ أو الإِجْمَاع ، من فَضَائِلهم ومَرَاتبهم .

٢٥٤ـ فَيُفَضِّلُون مَنْ أَنْفَقَ من قَبْلِ الفَتْحِ ـ وهو صُلْحُ الحُدَيْبيةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ من بَعْدِهِ وَقَاتَلَ .

---

٢٥٢ ـ فعلى الأمة أن يُطِيعوا النَّبي ﷺ في كل أمْرٍ وخُصُوصًا في هذا الأمر الخاص وأن يُوَقِّروا أصْحَابه ويحترمونهم ، ويعتقدوا أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم كما في هذا الحديث . وهذا من أعظم براهين فَضْلهم على غيرهم .

٢٥٣ ـ فقد ذكر اللَّه ورسوله للصَّحابة فضائل كثيرة على الأمة على الأُمَّة الإيمان بها وأن يدينوا الله بها ويحبوا الصَّحابة لأجلها / وقيل لِصُلْح الحديبية : فَتْحٌ ، لما ترتب عليه من المَصَالِح والخير الكثير ودخول الكثير في الإسلام ، ولهذا كان من أسلم قبل ذلك وأنفق وقاتل أفضل ممن فَعَلَ ذلك بعده لما حَصَلَ لهم من السَّبْق في الإسلام وقت ضعف المسلمين وكثرة الأعداء ووجُود الموانع الكثيرة والمصاعب الكثيرة في طريق الإسلام .

/ 43 /

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .

٢٥٥ـ وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ .

٢٥٦ـ ويُؤْمِنُون بـ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِأَهلِ بَدْر ـ وكانوا ثَلاثمائةً وبضعة عشر ـ : « اعْمَلُوا مَا شِئْتُم ؛ فَقَد غَفَرْتُ لَكُم »[(١)] .

٢٥٧ـ وبأنَّه : « لا يَدْخُل النَّار أَحَدٌ بَايَعَ تَحْت الشَّجرةِ » ؛ كما أَخْبَرَ به النَّبيُّ ﷺ[(٢)]، بَل قَد رَضِي عنهم وَرَضُوا عَنه وكَانُوا أكثرَ منْ أَلفٍ

٢٥٥ـ قال المُصَنِّف : (**ويقدمون المهاجرين على الأنصار**) وهذا لأَنَّ المهاجرين جمعوا الوَصْفَين : النُّصرة والهجرة ، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين ، وقد قدم اللَّه المهاجرين على الأنصار في سورة « التوبة » و « الحشر » . وهذا التَّفضيل للجملة على الجملة لا لكل فرد من هؤلاء على كل فرد من الآخرى .

٢٥٧ـ أي : في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وكان عددهم يَتَرَاوَح ما بين ألف أو أربعمائة أو خمسمائة فأهل بدر و أهل بيعة الرضوان يَشْهد لهم بالجنة والنَّجاة من النار على وجه أخص من الشَّهادة بذلك لجميع الصحابة في قوله : ﴿ وَكُلًّا وَّعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ كما أنه أخص من هؤلاء الأشخاص الذين شهد لهم ژ بالجنة .

(١) رواه البخارى (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) (١٦١) من حديث علي رضي اللَّه عنه .

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦) (١٦٣) من حديث جابر بن عبد اللَّه ، قال أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل النار ـ إن شاء اللَّه ـ من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها » . أما لفظ : « لا يدخل النار أَحَدٌ بايع تحت الشجرة » : فأخرجه الترمذي (٣٨٥٩) وأبو داود (٤٦٥٣) .

وَأَرْبَعمائة .

٢٥٨ـ وَيَشْهَدُون بالجَنَّة لِمَن شَهِدَ لَهُ النبيُّ ﷺ .

كـ « العَشَرةِ »[1] .

ـ وكـ « ثَابِت بن قَيْسِ بن شِمَاسٍ »[2] .

وغيرهم مِنَ الصَّحابةِ .

٢٥٨ـ ولهذا قال المُصَنِّف : **(وَيَشْهَدُون بالجَنَّة لِمَن شَهِدَ لَهُ النبيُّ ﷺ كـالعَشَرةِ .. » إلخ.**

وهذا من أعظم الفَضَائل ، تَخْصيص النَّبي ﷺ لهم بالشهادة والجنة ، وهو من جملة بَرَاهين رسالته ﷺ .

فإن جميع من عيَّنَهُ النبي ﷺ بالشَّهادة له بالجنة ولَوَازمها لم يزالوا مُسْتقيمين على الإيمان حتى وَصَلوا إلى ما وعدوا به رضي اللَّه عنهم .

(١) رواه أبو داود (٤٦٤٩) ، (٤٦٥٠) والترمذى (٣٧٤٨) ، (٣٧٥٧) وابن ماجة (١٣٤) وأحمد (١ / ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩) وفى فضائل الصحابة (٨٧ ، ٩٠ ، ٢٢٥) وابن أبى عاصم فى السنة (١٤٢٨ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٦) والحاكم (٤ / ٤٤٠) والنسائى فى الفضائل (٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٦) وأبو نعيم (١ / ٩٥) وغيرهم من حديث بن زيد مرفوعًا .
وإسناده صحيح ، وقد صحَّحه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٤٠١٠) .
وفى الباب : عن **عبد الرحمن بن عوف** : أخرجه الترمذى (٣٧٤٨) ، وأحمد في « المسند » (١ / ١٩٣) وفى « الفضائل » (٢٧٨) والنسائي فى « الفضائل » (٩١) والبغوى فى « شرح السنة » (٣٩٢٥) **بإسنادٍ صحيح** .

(٢) البخارى (٣٦١٣) ومسلم (١١٩) (١٨٧) من حديث أنس رضى اللَّه عنه .

٢٥٩ـ ويُقِرُّون بما تواترَ به النَّقـلُ عن أميرِ المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ وغـيرِه ؛ من أن : خيرَ هَذِهِ الأُمةِ بعد نبيِّها : أبو بكرٍ ثُمَّ عُمرُ ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ ، وَيُرَبِّعُون بِعَلِيٍّ رضي اللَّه عنهم ؛ كما دَلَّتْ عليه الآثارُ[1] .

/ 44 /

حكم تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الخلفاء الأربعة في الخلافة

٢٦٠ـ وكما أجمعتِ الصَّحابةُ على تقديمِ / عثمانَ في البيعةِ ، مَعَ أَنَّ بَعْض أَهْلِ السُّنَّة كانوا قد اخْتَلَفُوا في عثمانَ وَعِليٍّ بعد اتِّفَاقِهم عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبي بكرٍ وعُمرَ ؛ أيهما أَفْضلُ ؟

ـ فَقَدَّم قومٌ عثمانَ ، وَسَكَتُوا ، أَوْ رَبَّعُوا بِعليٍّ .

٢٥٩ـ أي : والخلافة ، وخِلافة أحد الاثنين لم يكن إلا بعد مُشَاورة جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، والقِصَّة مشهورة .

٢٦٠ـ يُريد المؤلف رحمه اللَّه أن الخلاف الكائن بين الأمة على وجهين :

أحدهما : الخلاف في الفُروع والمَسَائل الاجتهادية التي إذا اجتهد فيها الحاكم من قاضٍ ومُفْتٍ ومُصَنِّفٍ ومُعَلِّمٍ فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد . =

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١ / ١٠٦ ، ١١٠) ، وابنه عبد اللَّه فى زوائده على المسند (١ / ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٧) ، وأحمد فى فضائل الصَّحابة (٣٩٧) بأسانيد صحيحة وحسنة . وكذا أخرجه ابن أبى عاصم فى « كتاب السنة » (١٢٠١) وصححه الألباني فى تخريجه للسنة لابن أبى عاصم (٢ / ٥٧٠) .

ـ وقدَّم قَومٌ عَليًّا .

ـ وقومٌ تَوَقَّفُوا .

لكن استقرَّ أَمْرُ أهلِ السُّنةِ على : تقديمِ عثمانَ ، ثُمَّ عَلِيّ .

٢٦١ـ وإن كانتْ هذه المسألةُ ـ مَسْأَلة عُثمانَ وعَلَيٍّ ـ ليستْ منَ الأُصُولِ التي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيها عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ .

٢٦٢ـ لكنَّ المسألةَ الَّتي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها : مَسْأَلةُ الخِلَافةِ .

٢٦٣ـ وَذَلك بأَنَّهم يُؤْمِنونَ : بأَنَّ الخليفةَ بعدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمانَ ، ثُمَّ عَلِيٌّ ، رضي اللَّه عنهم .

٢٦٤ـ وَمن طَعَنَ فِي خِلَافة أَحَدٍ مِن هؤلاءِ الأئمةِ ؛ فَهُو أَضَلُّ مِن حِمَارِ أَهْلِهِ .

= **الوجه الثاني** : الخلاف في المسائل الأُصولية كمسائل صِفات الباري والقَدَرِ والإيمان ونحوها ، وهذا يُضَلَّلُ فيها المخالف لما دل عليه الكتاب والسنة ولـما كان عليه « السَّلف الصالح » من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

فمسألة الخلافة وتقديم « عَلِيّ » فيها عَلَىٰ عثمان فيها يُعَدُّ من البدع التي من اعتقدها فهو في الغالب مُتَشَيِّع ، وقد أَزْرَى بالمهاجرين والأنصار كما قال ذلك غير واحد من السلف . وأما التَّفضيل بينهما فإنها مسألة خفيفة من جنس مسائل الخلاف في المسائل الاجتهادية .

مكانة أهل بيت رسول الله ﷺ عند أهل السنة

٢٦٥ـ وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَتَوَلَّوْنَهُم .

٢٦٦ـ وَيَحْفَظُون فِيهِم وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ حَيْثُ قال يَوْم غدير خُمٍّ : « أُذَكِّركُم اللَّهَ فِي أَهْل بَيتِي ، أُذَكِّركُم اللَّهَ في أَهْلِ بَيتِي »[1].

٢٦٧ـ وقال أيضًا للعبَّاس َمِّهِ ؛ وقد شَكَا إليه أنَّ بعضَ قُريشٍ يَجْفُو بَني هاشمٍ ؛ فقال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لا يُؤْمِنُون حتىٰ يُحِبُّوكم لِلَّه وَلِقَرَابَتي »[2] .

٢٦٨ـ وقال : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ إِسْمَاعِيل ، واصْطَفَىٰ من بَني

٢٦٥ـ فمحبة أهل بيت النَّبي ﷺ واجبة من وجوه :

/ 45 /

منها : لإِسْلامهم / وفَضْلهم وسوابقهم .

ومنها : لما تميَّزوا به من قُرْب النَّبي ﷺ واتِّصال نسبه .

ومنها : لما حَثَّ عليه وَرَغَّب فيه .

ومنها : ولما في ذلك من علامة محبة الرسول ﷺ .

٢٦٨ـ فهو ﷺ خيار من خيار من خيار ، وقد جمع اللَّه له أنواع الشرف من كل وجه .

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) (٣٧) من حديث زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه .

(٢) رواه بنحوه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٧٥٦) بإسناد ضعيف منقطع ، وقال محقق الكتاب (٢ / ٩١٨) : ووجدته موصولًا في أمالي طراد الزينبي (٨٨ ب) بإسنادٍ صحيح موصول.

إسْمَاعِيلَ كَنَانَةَ ، واصْطَفَىٰ من كَنَانَةَ قُرِيشًا ، واصْطَفَىٰ من قريشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، واصْطَفَانِي مِن بَنِي هَاشِمٍ »[١] .

٢٦٩ـ وَيَتولَّوْنَ أزواجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أمهاتِ المؤمنينَ .

مكانة أزواج رسول الله ﷺ عند أهل السنة

٢٧٠ـ ويُقِرُّونَ : بأنهنَّ أزواجُهُ في الآخرةِ .

٢٧١ـ خُصُوصًا « خديجةَ » أمَّ أكثَرِ أَوْلَادِهِ ، وأَوَّلَ مَن آمَنَ بهِ وعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِه ، وَكَان لَهَا مِنْهُ المنزلَةُ العَلِيَّةُ .

٢٧٢ـ و « الصِّدِّيقةَ بنتَ الصِّديقِ » التي قال فيها النَّبيُّ ﷺ : « فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَام »[٢].

---

٢٧١ ، ٢٧٢ ـ فإن جميع أولاده الذُّكور والإناث منها إلَّا إبراهيم فإنه من سَرِيَّتِهِ « مارية القبطية » . و « عائشة » و « خديجة » هما أفضل نساء النبي ﷺ . وقد اختلف العلماء أيهما أفضل ؟

والتحقيق : أن لكل واحدة منهن من الفضل والخصائص ما ليس للأخرى ، فلخديجة من السَّبق ومعاونة النَّبي ژ على أمره في أول الأمر وتَثْبيته ، وكون أكثر أولاد النبي ﷺ منها ما ليس لعائشة ، ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة رضي اللَّه عنهما[٣] .

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) (١) من حديث واثلة بن الأسقع رضي اللَّه عنه .
(٢) رواه البخارى (٣٧٧٠) ومسلم (٢٤٤٦) (٨٩) من حديث أنس رضي اللَّه عنه .
(٣) راجع : « مجموع فتاوى شيخ الإسلام » (٤ / ٣٩٣) و « بدائع الفوائد » (٣ / ١٩٧) .

تبرؤ أهل السنة والجماعة مما يقوله المبتدعة في حق الصحابة وأهل البيت ، والذب عنهم

٢٧٣ــ ويتبرؤون من :

ــ طريقةِ « الرَّوَافِضِ » الذين يبغضونَ الصحابةَ ويسبونهُم .

ــ وطريقةِ « النَّواصبِ » ، الَّذِينَ يُؤْذونَ « أَهْل البيتِ » ، بِقَوْلٍ أو َمَلٍ .

منهج أهل السنة فيما شجر بين الصحابة

٢٧٤ــ ويُمْسِكُون َمَّا شَجَرَ بين الصَّحابةِ .

٢٧٥ــ وَيَقُولُونَ : إِنَّ هَذِهِ الآثارَ المَرْوية في مَسَاوِيهِمْ :

٢٧٣ـ وأول من سَمَّى « **الروافض** » بهذا اللقب « زيد بن علي » الذي خَرَجَ في أوائل دولة بني العباس وبايعه كثير من الشِّيعة ، ولما ناظروه في أبي بكر وعمر وطلبوا منه أن يتبرأ منهما فأبى رحمه اللَّه تَفَرَّقوا عنه فقال : رفضتموني ، فمن يومئذٍ قيل لهم : « الرافضة »[(١)] . وكانوا فرقًا كثيرة ، منهم الغالية ومنهم من هم دون ذلك ، وفرقهم معروفة .

وأما « **النَّواصب** » : فهم الذين نصبوا العداوة / والأذية لأهل بيت النبي ﷺ وكان لهم وجود في صَدْر هذه الأمة لأَسْباب وأمور سياسية معروفة ومن زمن طويل ليس لهم وجود . / 46 /

٢٧٤ : ٢٨٠ ـ أي : وهذه الأمور إذا قُوبِلت بِالمَسَاوئ ـ إنْ فُرِضَ أن هناك مَسَاوئ ــ اضمحلت المَسَاوئ معها ، ولا يُقَارِبهم أحد في شيء من ذلك رضي اللَّه عنهم .

(١) راجع : « اعتقادات فرق المسلمين » للرازي (٥٢) و « مجموع الفتاوى » (٤ / ٤٣٥) و « منهاج السنة » (١ / ٨) و « البداية والنهاية » (٩ / ٣٧٠ ـ ٣٧١) .

منها : مَا هُو كَذِبٌ .

وَمِنها : مَا قد زِيد فِيه وَنُقِصَ ، وَغُيِّر عن وجههِ .

والصَّحِيحُ منهُ : هم فيه مَعْذُورون :

ـ إما مُجْتَهِدُونَ مُصِيبون .

ـ وإِمَّا مُجْتَهِدون مُخْطِئُونَ .

٢٧٦ـ وَهُم مَعَ ذَلك لا يَعْتَقِدُون أَنَّ كلَّ وَاحِدٍ من الصَّحابةِ مَعْصُومٌ عن كبائرِ الإثمِ وصَغَائرِهِ . بلْ يَجُوزُ عليهمُ الذُّنوبُ في الجُمْلةِ .

من مناقب أصحاب رسول الله ﷺ

٢٧٧ـ ولهم منَ السَّوَابِقِ والفَضَائلِ مَا يُوجِبُ مَغْفرةَ مَا يَصْدُر منهم إنْ صَدَرَ .

٢٧٨ـ حَتَّىٰ إنَّه يُغْفَرُ لهم من السَّيِّئاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُم ، لأَنَّ لهم مِنَ الحَسَنَاتِ التي تَمْحُو السَّيِّئاتِ مَا لَيس لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

٢٧٩ـ وَقد ثبتَ بقولِ رسول اللّه ﷺ : « أَنَّهم خَيرُ القُرُونِ »[(١)] .

٢٨٠ـ وأنَّ « المُدَّ مِن أَحَدهم إذا تَصدَّق به ؛ كان أَفْضَل مِن جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا ممن بَعْدَهم »[(٢)] .

(١) رواه البخارى (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣) (٢١٢) من حديث ابن مسعود رضى اللّه عنه . وفى الباب عن جمع من الصحابة ، ولذا صرح بتواتره الحافظ ابن حجر فى مقدمة « الإصابة » (١ / ١٣) .

(٢) البخارى (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) (٢٢٢) من حديث أبى سعيد الخدرى .

٢٨١ـ ثُم إذا كان قد صَدَرَ عن أَحَدِهم ذَنبٌ ؛ فيكونُ قد تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ أَو غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ أو بِشَفَاعة مُحَمَّدٍ ﷺ الذينَ هُم أَحَقُّ الناسِ بشفاعتهِ أو ابْتُلِيَ بِبَلاءٍ في الدُّنيا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ .

٢٨٢ـ فَإِذَا كَانَ هذا في الذُّنوب المُحَقَّقةِ ؛ فكيفَ بالأمورِ التي كانُوا فيها مُجْتَهدينَ : إنْ أَصَابُوا ؛ فَلَهُم أَجْرانِ ، وإِنْ أخطأُوا ؛ فَلَهُم أَجْرٌ وَاحِدٌ ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ .

٢٨٣ـ ثم القَدْرُ الذي يُنْكَرُ من فعلِ بعضهِم قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ في جَنْبِ فَضَائِلِ القومِ وَمَحَاسِنِهِم من : الإيمانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، والجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، والهِجْرَةِ ، والنُّصرةِ ، والعِلْمِ النَّافعِ ، والعَمَلِ الصَّالحِ .

٢٨٤ـ وَمن نَظَرَ في سِيرةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرةٍ ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بهِ عَلَيهم منَ الفَضَائلِ ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهم خَيرُ الخَلْقِ بعدَ الأنبياءِ .

٢٨٥ـ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلَهُمْ .

٢٨٦ـ وأَنَّهُم همْ صَفوةُ الصَّفْوة مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمةِ ، التي هيَ خَيرِ الأُمَمِ وَأَكْرَمُها عَلَىٰ اللَّهِ .

---

٢٨١ : ٢٨٦ ـ وهذا كلام نَفِيس في غاية النفاسة / ، ولا زيادة عليه في التحقيق وإقامة البرهان على كمال فَضْل الصحابة رضي اللَّه عنهم لا يحتاج إلى شرح أو بيان . / 47 /

[الفصل الثالث

التصديقُ بكراماتِ الأولياءِ]

* ومن أصُولِ أهل السُّنَّة :

٢٨٧ـ التّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِياءُ .

٢٨٨ـ وَما يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِم ؛ من خَوَارق العَادَاتِ ، في :

ـ أنواعِ العُلُوم .

ـ والمُكَاشَفَاتِ .

ـ وأنْواعِ القُدْرةِ .

ـ والتَّأثيراتِ .

ـ وكالمأْثُورِ عن سَالِفِ الأُمَمِ ، في « سُورةِ الكَهْفِ » وغيرها .

ـ وعن صَدْرِ هذِهِ الأمةِ من الصَّحَابةِ والتَّابعينَ وَسَائِرِ قُرونِ الأُمَّةِ .

٢٨٩ـ وَهِيَ مَوجودةٌ فيها إلى يومِ القيامةِ .

فصل

٢٧٨ : ٢٨٨ - تواترت نُصوص الكتاب والسُّنة والوقائع قديمًا وحديثًا في وقوع كرامات اللَّه لأوليائه المتبعين لأنبيائهم .

وكرامتهم في الحقيقة تُفيد ثلاث قضايا : =

. . . .

= **أعظمها** : الدِّلالة على كمال قدرة اللَّه ونفوذ مشيئته .

وأنه كما أن للَّه سننًا وأسبابًا تقتضي مُسَبباتها الموضوعة لها شرعًا وقدرًا فإن للَّه أيضًا سُنَنًا أُخْرى لا يَقَع عليها عِلْم البَشَر ولا تُدْركها أعمالهم وأسبابهم . فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بل وأيام اللَّه وعقوباته في أعدائه الخارقة للعادة ، كلها تَدُلُّ دلالة واضحة أن الأمر كله للَّه ، والتَّدبير والتقدير كله للَّه وأن للَّه سُنَنًا لا يعلمها بَشَر ولا مَلَك .

فمن ذلك : قصة « أصحاب الكهف » والنوم الذي أَوْقَعَهُ اللَّه بهم تلك المدة العظيمة وقَيَّض أسبابًا متنوعة لحفظ دينهم وأبدانهم كما ذكر اللَّه في قصتهم .

ومنها : ما أكرم اللَّه به « مريم بنت عمران » وأنه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧]

وكذلك : حملها وولادتها « بعيسى » عَلَى ذلك الوصف الذي ذكر اللَّه وكلامه في الـمَهْد هذا فيه كرامة لمريم ، ومعجزة لعيسى ﵇ .

وهبته تعالى الوَلَد « لإبراهيم » من « سارة » ، وهي عجوز عقيم على كِبَره كما وَهَبَ « لزكريا » « يحيىٰ » على كِبره وعقم زوجته ؛ مُعْجِزةً للنبي وكرامةً لزوجته . وقد أَطَالَ المؤلف النَّفَس ، وبَسط الكلام في هذا / الموضوع / 48 / في كتابه « الفُرقان بين أَوْلياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان » ، وذكر قصصًا كثيرة متوافرة تدلُّ على هذه القضية . =

. . . .

= **القضية الثانية** : أن وُقُوع الكَرَامات للأولياء في الحقيقة معجزات للأنبياء ؛ لأن تلك الكرامات لم تَحصل لهم إلا ببركة مُتَابعة نبيهم الذي نالوا به خيرًا كثيرًا من جملتها الكرامات .

القضية الثالثة : أن الكَرَامات لأولياء الله هي من البُشْرى المُعَجَّلة في الحياة الدنيا كما قال تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس : ٦٤] .

وهى كل أمر يَدُلُّ على ولايتهم وحُسْن عاقبتهم ، ومن ذلك : الكرامات ولم تزل الكرامات موجودة لم تَنْقَطع في كل وقت وزمان وقد رأى الناس منها عجائب لأمُور كثيرة ، ولم يُنْكِرها إلا « زنادقة الفلاسفة » وليس غريبًا عليهم؛ فإنه فَرْعٌ عن جحودهم وإنكارهم لرب العالمين وقضائه وقدره .

وقد أنكرها أيضًا طائفة من « أهل الكلام » المذموم ظنًّا منهم أَنَّ في إثباتها إبطالًا لمعجزات الأنبياء !! وهذا وهم باطل أبطله المؤلف رحمه الله في كتاب « النُّبوات » وغيره من كتبه .

فـ « أهل السُّنَّة والجماعة » يعترفون بكرامات اللَّه لأوليائه إجمالًا وتفصيلًا ويُثْبِتُون ذلك على وجه التَّفصيل ، كلما ورد عن المعصوم ژ وكلما تحقق وقوعه . ولكن قد أدخل كثير من الناس بالكرامات أمورًا كثيرة اخترعوها وافتروها .

و « أهل السُّنة » أبعد النَّاس عن التَّصديق بالخُرَافات والكذب المفترى ، وأعرفهم بالطُّرق التي يَتَبَيَّنُ بها كذب الكاذبين وافتراء المفترين .

[الباب السادس

من طريقة أهل السنة والجماعة
وخصالهم الحميدة

* ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : اتباع آثار رسول الله ﷺ واتباع سبيل السابقين

الفصل الثاني : من خصالهم الحميدة]

[الفصل الأول

اتِّباع آثار رسول الله ﷺ واتِّباع سبيل السابقين]

* **ثُمَّ من طريقة أهل السُّنَّة والجماعة :**

٢٩٠ـ اتِّبَاعُ : آثارِ رسولِ اللهِ لله بَاطنًا وَظاهِرًا .

٢٩١ـ واتِّباعُ : سبيلِ السَّابقينَ ، الأولينَ من المهاجرينَ والأنصارِ .

٢٩٢ـ واتِّباعُ : وَصِيَّة رسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ : « عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المهديِّينَ مِنْ بَعْدِي ، تَمَسَّكُوا بها ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِذِ ، وَإِيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ »[(١)].

فصل

٢٩٠ : ٢٩٩ ـ لَمَّا ذكر طريقة أهل السنة في مسائل الأُصُول المعينة ذكر طريقهم الكُلِّي في أَخْذ دينهم : أُصُوله وفُروعه ، وأنهم سَلَكُوا في ذلك الصراط المستقيم والعصمة النَّافعة ـ الكتاب والسُّنة ـ واتَّبعوا أعظم النَّاس معرفة وعِلمًا واتِّباعًا للكتاب والسُّنة وهم الصَّحابة رضي اللَّه عنهم عمومًا =

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢ ، ٤٣) والدرامي (١ / ٤٤) والحاكم (١ / ٩٧) ، من حديث العرباض بن سارية .
وهو **حديث صحيح** ، صححه غير واحد من أهل العلم فقال الترمذي : « حسن صحيح » .
وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في « مجموع الفتاوى » (٢٠ / ٣٠٩) و « اقتضاء الصراط » (٢ / ٥٧٩) . .

٢٩٣ـ ويَعْلَمُونَ : أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ كَلامُ اللَّهِ ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ/ .

/ 49 /

٢٩٤ـ فَيُؤْثِرُونَ : كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِه مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ .

لماذا سمي أهل الكتاب والسنة بهذا الاسم ؟

٢٩٥ـ ويُقَدِّمُون : هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ .

وبهذا سُمُّوا : « أهلَ الكتابِ والسُّنَةِ » .

لماذا سموا بأهل الجماعة ؟

٢٩٦ـ وسُمُّوا « أهلَ الجماعةِ » ؛ لأَنَّ الجماعةَ هي الاجتماعُ وضدَّها الفُرقةُ وإن كانَ لفظُ « الجماعةِ » قد صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ .

الإجماع هو الأصل الثالث

٢٩٧ـ والإِجْمَاعُ: هُوَ الأَصْلُ الثَّالثُ الَّذي يُعتمدُ عَليهِ في العِلْمِ والدِّينِ .

٢٩٨ـ وَهُم يَزِنُونَ بِهذهِ الأُصُولِ الثَّلاثِةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ من أَقْوَالٍ وأَعْمَالٍ بَاطِنةٍ أو ظَاهِرةٍ ، مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بالدِّين .

الإجماع الذي يَنْضَبِط

٢٩٩ـ والإجمَاعُ الذي يَنْضَبِطُ : هُوَ مَا كَانَ عَليهِ «السَّلفُ الصَّالحُ» إِذْ بَعْدَهُم كَثُرَ الاختلافُ ، وانْتَشَرَتِ الأمةُ .

= والخلفاء الراشدون خصوصًا ، فَسَلَكُوا إلى اللَّه مُسْتَصْحِبين لهذه الأصول الجليلة ، وما جاءهم مما قاله الناس وذَهَبُوا إليه من المقالات وَزَنُوه بالكتا والسُّنة وإجماع الصحابة والقرون المُفَضَّلة ؛ فاستقامت طريقتهم وسَلِمُوا من بِدَع الأقوال المخالفة لما عليه الرَّسول وأصحابه في الاعتقادات كما سَلِمُوا من بِدَع الأعمال ، إذ لم يَتَعَبَّدوا ولم يُشَرِّعوا إِلّا مَا شَرَعَهُ اللَّه ورسوله .

[الفصل الثاني]

[مِنْ خصال أهل السنة الحميدةِ]

فصل في بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة

* **ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ :**

٣٠٠ـ يَأْمُرُونَ بِـ : المَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ؛ عَلَىٰ مَا تُوجِبهُ الشَّرِيعةُ .

٣٠١ـ وَيَرَوْنَ إِقَامة : الحجِّ ، والجِهَادِ ، والجُمَعِ ، والأَعْيادِ ؛ مَعَ الأُمَرَاءِ ؛ أَبْرارًا كَانُوا ، أو فُجّارًا .

فصل

٣٠٠ـ أي باليد ثم باللِّسان ثم بالقلب تبع القُدْرة والمصلحة .

وَيَسْلُكُون أقرب طريق يَحْصُل به المقصود بالرِّفق والسُّهولة .

مُتَقَرِّبين بنصيحة الخلق إلى اللَّه .

قَاصِدين نَفْعَ الخلق وَإِيصَالهم إلى كل خير ، وكَفِّهم عن كل شر .

سَاعِين في ذلك بحسَب وُسْعِهم .

٣٠١ـ وذلك لأن غرضهم الوَحيد : تَحْصِيل المصالح ، وتكميلها ، وتعطيل المفاسد أو تقليلها .

فلا يمتنعون من إعانة الظَّالم على الخير وترغيبه فيه قولًا وفعلًا ، فيشاركون الوُلاة الظلمة في الخير ، ويُفَارِقُونهم في الشَّر ، ويحرصون على الاتفاق ويَنْهون عن الافتراق / .

/ 50 /

٣٠٢ـ ويُحَافِظُونَ عَلَىٰ : الجَمَاعاتِ .

٣٠٣ـ وَيَدِينُونَ بـ : النَّصيحةِ للأُمَّةِ .

٣٠٤ـ وَيعتقدُونَ :

ـ مَعْنَىٰ قوله ﷺ : « المؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبُنْيانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعه ﷺ [1] .

ـ وقوله ﷺ : « مَثَلُ المؤْمِنينَ فِي تَوَادِّهم وَتَرَاحُمِهم وَتَعَاطُفِهم ؛ كَمَثَل الجَسَد ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنه عُضْوٌ ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالحُمَّىٰ والسَّهَرِ »[2] .

---

٣٠٢ : ٣٢١ ـ وهذا كلامٌ جامع ، واضحٌ ، نَادِرٌ ، جمعه في موضع واحد ، لا يحتاج إلى شَرْحٍ وإيضاح .

والحمد للَّه رب العالمين وصلى اللَّه على محمد وسلم ..

قال ذلك وكتبه معلقه عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي غفر اللَّه له ولوالديه ولجميع المسلمين . وقع الفراغ منه في ٨ جمادى الأول عام ١٣٦٩ هجرية .

والحمد للَّه على نعمه الظاهرة والباطنة .

---

(١) البخارى (٦٠٢٦) ومسلم (٢٥٨٥) (٦٥) من حديث أبى موسى رضي اللَّه عنه .

(٢) البخارى (٦٠١١) مسلم (٢٥٨٦) (٦٦) من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه .

٣٠٥ــ وَيَأْمُرون بـ :

ــ الصَّبرِ عَلى البَلاء .

ــ والشُّكْرِ عِنْد الرَّخاءِ .

ــ والرِّضىٰ بِمُرِّ القَضَاءِ .

٣٠٦ــ وَيَدْعون إلى :

ـ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ .

ــ وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ .

٣٠٧ــ وَيَعْتَقِدُونَ : مَعْنَى قَول النبي ﷺ : « أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهم خُلُقًا »[1] .

٣٠٨ــ وَيندبُونَ إلى :

ــ أن تَصِلْ من قَطَعَكَ .

ــ وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ .

ــ وتعفو عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٤٧٢) وأبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) وقال : حسن صحيح ، وابن حبان (١٣١١ ـ موارد) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه .

وهو حديث صحيح ، وقد صحّحه الألباني في « صحيح الترمذي » (٣ / ٨٨٦) .

من مزايا أهل السنة والجماعة

٣٠٩ـ ويأمرون بـ :

ـ بِرِّ الوَالِدَيْنِ .

ـ وصِلَةِ الأَرْحَامِ .

ـ وحُسْن الجوارِ .

ـ والإِحْسَان إلى : اليَتَامَىٰ ، والمَسَاكِين ، وابنِ السَّبيلِ .

ـ والرِّفقِ بِالمَمْلُوكِ .

٣١٠ـ وَيَنْهُون عن :

ـ الفَخْرِ .

ـ والخُيَلاءِ .

ـ والبَغْيِ .

ـ والاسْتِطَالةِ عَلى الخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بغيرِ حقٍّ .

٣١١ـ وَيَأْمُرون بِـ : مَعَالِي الأَخْلاقِ .

٣١٢ـ وينهون عن : سِفْسَافها .

٣١٣ـ وكُلّ مَا يَقُولونه أوْ يَفْعَلُونهُ من هذا أو غيره ؛ فإنما هم فيهِ مُتَّبِعُونَ للكتابِ والسُّنَّةِ .

٣١٤ـ وطريقتهم : هي دينُ الإسلامِ ؛ الذي بعثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ .

٣١٥ـ لَكن لما أخبرَ ﷺ : « أَنَّ أُمَّته سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ كُلَّها في النَّارِ إِلَّا وَاحِدةً ؛ وَهيَ الجَمَاعةُ »[1] .

٣١٦ـ وفي حَدِيثٍ عنهُ أنهُ قالَ : « هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وأَصْحَابِي »[2] ؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بالإسلامِ المَحْضِ الخَالِصِ عنِ الشَّوبِ هم « أهلَ السُّنةِ والجماعةِ » .

٣١٧ـ وفيهم : الصِّدِّيقُونَ ، والشُّهداءُ ، والصَّالحونَ .

٣١٨ـ ومنهم : أعلامُ الهُدَىٰ ، ومَصَابِيحُ الدُّجَىٰ .
أُولُوا المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ ، والفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ .

٣١٩ـ وفيهم : الأَبْدَالُ .

٣٢٠ـ ومنهم : الأئمةُ ؛ الذين أجْمَعَ المسلمونَ على هِدَايتِهم ودِرَايَتِهِمْ .

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦) وأحمد (٢ / ٣٣٣) والترمذي (٢٧٧٨) وابن ماجه (٣٩٩١) وابن أبى عاصم في « السنة » (٦٠) والحاكم (١ / ١٢٨) ، من حديث أبي هريرة .
وهو حديث صحيح بشواهده ، ولذا صححه غير واحد من أهل العلم .
وراجع : « السلسلة الصحيحة » للألباني (٢٠٤) .

(١) رواه الترمذي (٢٧٧٩) والحاكم (١ / ١٢٩) من حديث ابن عمرو . وفى إسناده : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي .
إلا أن للحديث شواهد كثيرة **يصح بها** .
وراجع : « السلسلة الصحيحة » (٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ١٤٩٢) .

٣٢١ـ وَهُمْ الطَّائِفَةُ المَنْصُورةُ ، الَّذينَ قالَ فيهمُ النَّبيُّ ﷺ : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظاهرينَ ؛ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ ، حَتَّى تَقُومُ السَّاعَةُ »[١] .

* * * *

(١) رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) (١٧٤) من حديث معاوية رضي اللَّه عنه . وهو حديث متواتر ، كما نصَّ على ذلك السيوطى في « قطف الأزهار المتناثرة » (٨١) .

[الخاتمة]

فنسألُ اللَّهَ العظيمَ أن يجعلنا منهُم .

وأَنْ لا يَزِيغَ قُلُوبنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانا ، ويَهَب لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً ؛ إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ .

وَالحمدُ للَّهِ ربِّ العَالَمِينَ ، وصلواتهُ وسَلامُهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلهِ وَعَلَى سَائِرِ المُرْسَلِينَ وَالنَّبِيِّينَ ، وَآل كُلٍّ وَسَائِرِ الصَّالحِينَ .

* * * *

الفهارس العامة للكتاب

١ـ فهرس الآيات القرآنية

(*) الفهارس على أرقام الفقرات بالنسبة لمتن العقيدة ، وعلى الصفحة وبين قوسين للشرح .

* * * *

٢ـ فهرس الأحاديث والآثار

(*) كل ما وضع عليه هذه العلامة فهو أثر .

* * * *

٣ـ فهرس الأعلام والطوائف

* * * *

٤ـ فهرس الملل والنحل والفرق

* * * *

٥ـ فهرس الفوائد

* * * *

٦- فهرس الموضوعات

* * * *